الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام
بين الحقيقة والأوهام دراسة تحليلية

السيد خليل الشوكي

(دانش‌آموخته حوزه و کارشناسی ارشد کلام اسلامی)

ظهر الإسلام في جزيرة العرب باسطاً كفَّيه جميعاً، يحمل على هذا كتاب الله، وعلى تلك سُنَّة رسوله، وهو يدعو إلى الإيمان بهما كل أبيض وأسود، فآمن به قوم، وكفر به آخرون، وسار شوطاً من عمره يقطع طريقاً وسطاً بين صفَّين: صف من المؤمنين، وصف من الكافرين، ثمّ لم يلبث أن انقسم المؤمنون به على أنفسهم ؛ فانحازت طائفة منهم إلى عليٍّ عليه السلام، وطائفة أُخرى إلى أصحاب السقيفة، وكان محور الافتراق والاختلاف يكمن في الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله .

هذا الانقسام بات واضحاً استقراءه من خلال الانعكاس الواضح على عقائد وتفكير المسلمين إلى يومنا هذا، ولأجل الوقوف على أهم الشبهات التي تطرح عبر وسائل الإعلام المرئية وغير المرئية، ارتأينا فهرست البحث كما يلي:

شبهات وردود

من الشبهات التي تثار وتطرح على مائدة الحوار والنقاش العقائدي بين المدرستين السنّية والشيعية هي مسألة الهجوم على بيت فاطمة الزهراءعليها السلام بعد وفاة أبيها رسول اللهصلى الله عليه وآله والتحاقه بالرفيق الأعلى، وكانت هذه التساؤلات تأتي على نحو النفي هذه الحادثة منها:

١- عليٌّعليه السلام ذلك الرجل الذي قتل أبطال العرب وناوش ذؤبانهم، هو الذي قدَّ مرحباً وعمرو بن عبد وُدّ وهو الذي كانت ضرباته وَتراً، كيف يمكن تصوُّر سكوته على ضرب حليلته ومن ثم استسلامه للغاصبين في إخراجه من البيت قهراً، وتهديده بالقتل؟

٢- أين الأنصار وبنو هاشم عن ذلك اليوم؟

٣-كيف تفسّرون أنَّ فاطمة الزهراءعليها السلام ماتت شهيدة؟!!

رغم أن هذه الشبهات قد شغلت حيزاً واسعاً من حياة علمائنا الأطهار وهم يخوضون غمار المعترك الكلامي فيها، وقد أجادت أناملهم الشريفة بها لا تحصيها أقلام الكتّاب ومدادهم، حيث كتبوا في هذا المضمار عشرات المصنّفات والمؤلفات إضافة للخطب المنبرية والمحاضرات التي تبث للأُمّة في القنوات الفضائية وعلى شبكة الإنترنت وهو أوسع نطاق إعلامي اليوم، إلّا أن المشككين أصرّوا عناداً واستكباراً على عدم صحة مثل هذه الروايات وأنّها ضعيفة الإسناد .

أقول: في القضايا التاريخية نرجع إلى ما ذكره المؤرخون. والهجوم على بيت السيّدة فاطمة الزهراءعليها السلام والاعتداء عليها بالركل والضرب والشتم قد ذكرته كتب التاريخ من الفريقين، وذكر مؤرخي العامّة وعلمائهم للواقعة يكون أوقع للتصديق، وهذا ما نحاول إيضاحه من خلال حشد لمجموعة من الروايات الصحيحة عند علماء الجمهور.

بيان الحادثة

أجمع المؤرخون أنَّ ما حصل في اليوم الثاني من وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو أنّ مجموعة من الصحابة جاؤوا إلى بيت علي وفاطمة عليهما السلام، لا لكي يعزُّوهم بوفاة النبيّ، بل كانوا يحملون السيوف وأكداس من الحطب ليضعوها على باب علي و فاطمة عليهما السلام، وأنذروا المجتمعين فيه أن يخرجوا ويبايعوا أبا بكر، وإلّا أحرقوا الدار بمن فيه! وكان في الدار فاطمةُ عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سيدة نساء أهل الجنّة، وعلي عليه السلام عضد رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمه وصهره، والحسنُ والحسينُ عليهما السلام سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيدا شباب أهل الجنّة، وبنو هاشم، وعدد من كبار الصحابة، من المهاجرين والأنصار[1]! ذكر أرباب التاريخ والسير عدداً منهم، كالعبّاس بن عبد المطلب وأولاده والفضل[2]، والزبير[3]، والمقداد[4]، وطلحة[5]، وسعد بن أبي وقّاص[6]، وعتبة بن أبي لهب، وسلمان الفارسي[7]، وأبي ذر الغفاري[8]، وعمار بن ياسر[9]، والمقداد بن الأسود[10]، والبراء بن عازب[11]، وأُبي بن كعب[12]، وخالد بن سعيد[13].

---

(١) ابن هشام: ٤ / ٣٤٤، والطبري: ٢ / ٤٥٢ و ٤٥٥ وفي ط. أوروبا ١ / ١٨٣٣ – ١٨٣٧. وابن كثير: ٥ / ٢٧٠، وابن الأثير في أسد الغابة، ج١ / ٣٤، في ترجمة الرسول. وقد ورد في روايات أخرى أنّ سماعهم صريف المساحي كان ليلة الثلاثاء كما في طبقات ابن سعد: ٢ ق ٢ / ٧٨، تاريخ الخميس: ١ / ١٩١. الذهبي في تاريخه: ١ / ٣٢٧، والأصح أنّ ذلك كان ليلة الأربعاء. وفي مسند أحمد: ج٦ / ص٦٢: في آخر ليلة الأربعاء، وفي ص ٢٤٢ منه وص ٢٧٤ لم ما علمنا أين يدفن حتى سمعنا.

(٢) العقد الفريد: ٤/ ٢٥٩.

(٣) الطبري: ٣/ ٢٠٢، وذكره كثير من أرباب السيرة.

(٤) الاستيعاب: ٢ / ٤٥١، الإصابة: ج٣/ ص٤٣٣ – ٤٣٤، شرح نهج البلاغة، ج٢/ ص٥٦.

(٥) الطبري: ٣/ ٢٠٢ ؛ الكامل لابن الأثير: ٢/ ٣٢٥ ؛ وذكر هؤلاء الأربعة فى السيرة الحلبية: ٣/ ٣٦٠.

(٦) الاستيعاب: ٢ / ١٨ – ٢٥، والإصابة: ٢ / ٣٠ – ٣٢.شرح نهج البلاغة: ٢/ ٥٦.

(٧) الكنى والالقاب: ج٣، ص١٧٣.

(٨) ابن حبان: ص٣١.

(٩) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ج١،ص٤٤.

(١٠) الإصابة، ابن حجر: ج٦،ص١٦٠.

(١١) الاستيعاب: ١ / ١٤٤، الإصابة: ١ / ١٤٧.

(١٢) الاستيعاب ١ / ٢٧ – ٣٠، والإصابة ١ / ٣١ – ٣٢.

(١٣) تاريخ أبي الفداء: ١ / ١٥٦، السقيفة للجوهري: ٤٣ – ٥٠ – ٦٠، شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢ / ٤٩ – ٥٦ الخطبة ٢٦ و: ٦ / ٥ – ١٢ الخطبة ٥٨، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٢٤ خبر السقيفة، المصنف لعبد الرزاق: ٥ / ٤٧٢ – ٤٤٢ ح ٩٧٧٤ – ☜

وكان جرمهم أنّهم كانوا منشغلين بمراسم تجهيز النبيّﷺودفنه، فتفاجئوا بأنّ عدداً من الصحابة الذين تركوا مراسم جنازة النبيّ ﷺ وذهبوا خلسة عنهم واجتمعوا في السقيفة، وتحاجّوا فيمن هو الأحق بوراثة سلطان محمّد، فبادر عمر وبايع صاحبه أبا بكر وبايعه بضعة أشخاص، وتجمّع معهم مجموعة من حزب الطلقاء، حزب العتقاء، حزب المؤلفة قلوبهم، سفلة الأعراب وبقايا الأحزاب وحزب أرباب الحقد الدفين الموتورون من سيف عليعليه السلام يتقدّمهم عمر بن الخطاب، وأسيد بن الخضير[1] رئيس الأوس وبشير بن سعد[2] أحد وجوه الخزرج، وسلمة بن سلامة بن وقش الأشهلي[3]، وخالد بن الوليد[4] وقنفذ[5] وعبد الرحمن بن عوف[6] وسلمة بن أسلم[7] وفي بعضها: سلمة بن أسلم بن جريش الأشهلي[8]، وزياد بن لبيد[9] شاهرين سيوفهم ويحملون قبساً من النار مهددين بحرق البيت على من فيه إن لم يبايعوا أبي بكر، فلما سمع عليعليه السلام ومن حوله من المهاجرين والأنصار الذين اجتمعوا يتداولون فيما يفعلون، فاستحقوا المهاجمة والتهديد بالقتل وحرق الدار عليهم. وقد أشار إلى ذلك معاوية في كتابه إلى أمير المؤمنينعليه السلام بقوله: وما يوم المسلمين منك بواحد، لقد حسدت أبا

☜٧٥٨، رسالة سر العالمين للغزالي: ١١، الرياض النضرة: ١/ ٢٣١ ذكر بيعته و ٢٤١ ذكر البيعة العامة، الموفقيات للزبير بن بكار: ٥٩٠ ط. بغداد، وتاريخ الطبري: ٢ / ٤٤٣ –٤٤٦.

(١) أُنظر: الإصابة: ١ / ٨٣، الاستيعاب: ١ / ٣١ – ٣٣.

(٢) الطبقات: ابن سعد، ج٣،ص٥٣١.

(٣) الاستيعاب بهامش الإصابة: ٢ / ٨٤ والإصابة ٢ / ٦٣؛ العقد الفريد: ٣ / ٦٣ ط مصر، تاريخ أبي الفدا: ج ١: ١٥٦، أعلام النساء: ٣ / ١٢٠٧، ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١ / ١٩.

(٤) الاستيعاب: ١ / ٤٠٥ –٤٠٨، شرح نهج البلاغة: ٢ / ٥٧ و ٦ / ٤٨.

(٥) الجمل: ١١٧.

(٦) السنن للبيهقي: ٨ / ١٥٢، المستدرك: ٣ / ٦٦، حياة الصحابة للكاندهلوي: ٢ / ١٣، شرح نهج البلاغة: ٦ / ٤٨.

(٧) الاستيعاب: ٢ / ٨٣، الإصابة ٢ / ٦١.

(٨) المسترشد: ٣٧٨.

(٩) الاستيعاب: ١ / ٥٤٥، الإصابة ١ / ٥٤٠. في نسبه بجمهرة ابن حزم ص ٣٥٦ سقط بياضة.

بكر..! والتويت عليه، ورمت إفساد أمره، وقعدت في بيتك عنه، واستغويت عصابة من الناس حتّى تأخروا عن بيعته[1].

وفيما يلي حشداً من الروايات التي صدرت عن علماء الفريقين.

أولاً: قال أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري:

إنّ أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند علي *(كرم الله وجهه)*، فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنَّ أو لأحرقنها على من فيها. فقيل له يا أبا حفص: إنّ فيها فاطمة، فقال: وإن، ثمّ وقفت فاطمة عليها السلام على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا اسوأ محضر منكم تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ولم ترّدوا لنا حقّاً فانصرفوا، ثمّ قام عمر فمشى معه جماعة حتّى أتوا باب فاطمة فدقوا الباب، فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا أبه يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة[2].

ثانياً: قال الشهرستاني في الملل والنحل عن إبراهيم النظام:

إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتّى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح أحرقوا دارها بمن فيها وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسنين عليهم السلام[3].

ثالثاً: قال ابن أبي الحديد المعتزلي.

قال أبو بكر: يا عمر، أين خالد بن الوليد؟ قال: هو هذا، فقال: انطلقا إليهما - يعنى علياً والزبير - فأتياني بهما، فانطلقا، فدخل عمر ووقف خالد على الباب من

(١) شرح نهج البلاغة: ١٥/ ١٨٦.

(٢) الإمامة والسياسة: لابن قتيبة الدينوري، ج١/ ص١٩.

(٣) الملل والنحل: ٨٣ باب ١ فصل ١ - ذكر المعتزلة - فرقة النظامية - من ط. مصر، وج ١ / ٧٣ ط. مصر-الأولى ١٣١٧، و ٥٧ من ط. دار الفكر - بيروت.

خارج، فقال عمر للزبير: ما هذا السيف ؟ قال: أعددته لأبايع علياً، قال: وكان في البيت ناس كثير، منهم المقداد بن الأسود وجمهور الهاشميين، فاخترط عمر السيف فضرب به صخرة في البيت فكسره، ثم أخذ بيد الزبير، فأقامه ثم دفعه فأخرجه، وقال: يا خالد، دونك هذا، فأمسكه خالد – وكان خارج البيت مع خالد جمع كثير من الناس، أرسلهم أبو بكر رداءً لهما، ثم دخل عمر فقال لعلي، قم فبايع، فتلكأ واحتبس، فأخذ بيده، وقال: قم، فأبى أن يقوم، فحمله ودفعه كما دفع الزبير، ثم أمسكهما خالد، وساقهما عمر ومن معه سوقاً عنيفاً، واجتمع الناس ينظرون، وامتلأت شوارع المدينة بالرجال، ورأت فاطمة ما صنع عمر، فصرخت وولولت، واجتمع معها نساء كثير من الهاشميات وغيرهنَّ، فخرجت إلى باب حجرتها ونادت: يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله ! والله لا أكلّم عمر حتى ألقى الله[1].

ولم تقف المسألة عند عودة ثقافة الغارة والقتل وقانون الغلبة ! بل زادت ثقافة الخلافة في الطنبور نغمة، فجعلت قمع المعارضة مفخرة دينية يرتلها المسلمون شعراً ونثراً! حتى جاء شاعرهم المصري حافظ إبراهيم[2]، في قصيدته العمرية المشهورة، التي يقول فيها:

وقوله لعلي قالها عمر ... أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرّقت دارك لا أبقي عليك بها ... إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها

من كان مثل أبي حفص يفوه بها ... أمام فارس عدنان وحاميها ؟!

يقول الشيخ كاشف الغطاء: وقد ظن هذا الشاعر أن هذا من شجاعة عمر وهو خطأ، أو لم يعلم أنه لم تثبت لعمر قدم في المقامات المشهورة، ولم تمتد له يد في حروب

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٦،ص ٤٦.

(٢) هو شاعر النيل حافظ إبراهيم، أُنظر ديوان حافظ إبراهيم: ج ١، ص ٨٢ ط دار الكتب المصرية بالقاهرة عام ١٩٣٧ م تحت عنوان: (عمر وعلي).

النبيّ الكثيرة، فما ذلك إلّا لأمانة من عليعليه السلام بوصية النبيصلى الله عليه وآله بالصبر، ولو همّ به لهام على وجهه واختطفه بأضعف ريشة .

روايات إسقاط المحسنعليه السلام

من الفجائع التي تبكي لها عيون الإسلام والدين، التي أحرقت قلوب المؤمنين والموقنين ما إرتكبه عمر بن الخطاب من الظلم العظيم الذي أوجب سيدتنا فاطمة الزهراءعليها السلام ، هذه الواقعة الهائلة قد بلغ حد التواتر واليقين عند أهل الحق، ولكن من عجائب براهين علو كلمة الحق، وسمّو مرتبة الصدق، إن إبراهيم بن سيار بن هاني البصري المعروف بالنظام[1]، الذي هو من كبار علماء المعتزلة وأجِلّة كبراء المخالفين قد أعترف بوقوع هذه الواقعة الهائلة بكمال الإبانة والصراحة ولم يقدر على كتمانه أو إنكاره كما فعله بعض أرباب الصفاقة والوقاحة[2] .

وروى مقاتل بن عطية: أنَّ أبا بكر بعد ما أخذ البيعة لنفسه من الناس بالإرهاب والسيف والقوّة أرسل عمر وقنفذ وجماعة آخرين إلى دار علي وفاطمة، وجمع عمر الحطب على دار فاطمة وأحرق الباب! ولما جاءت فاطمة خلف الباب لترد عمر وأصحابه عصر عمر فاطمة خلف الباب حتى أُسقط جنينها ونبت مسمار الباب في صدرها، وسقطت مريضة حتى ماتت[3].

وقال الذهبي في الميزان، في ترجمة ابن أبي دارم: وقال محمّد بن أحمد بن حماد الكوفي

(١) أحد فرسان أهل النظر والكلام على مذهب المعتزلة وله في ذلك تصانيف مات ٢٣١. لسان الميزان: ١ / ٦٧. معجم المصنفين: ٣ / ١٥٨، تاريخ بغداد: ٦ / ٩٧. فهرست ابن النديم: ١٨٦.

(٢) إنّهم يعتبرون رواية ما جرى على فاطمةعليها السلام من أهم الطعون على النظام الذي كان أحد أعاظم شيوخ المعتزلة، حتى إنّ الشهرستاني يقول عنه: وزاد في الفرية، فقال: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح: أحرقوا دارها بمن فيها، وما كان في الدار غير علي، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام .

(٣) ذيل طبقات ابن رجب: ١ / ٢٢. طبقات الشافعية: ج ٣ / ص ٣٨٩. شذرات الذهب: ج ٤ / ص ٢٢٤. المصنف ابن شيبة: ج ٧ / ص ٤٣٢، تاريخ الطبري: ج ٣ / ص ١٠١، مسند فاطمة للسيوطي: ٣٦، كنز العمال: ج ٥ / ص ٦٥١ وغيرها.

الحافظ بعد أن أرخ موته: كان مستقيم الأمر عامّة دهره، ثم في آخر أيّام كان يكثر ما يقرأ عليه المثالب، حضرته ورجل يقرأ عليه: إن عمر رفس فاطمة حتى أسقط محسن [1].

وقال ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان في ترجمة أحمد بن محمّد السرى بن يحيى بن أبي دارم المحدّث الكوفي: قال محمّد بن أحمد بن حماد الكوفي الحافظ بعد أن أرخ موته: كان مستقيم الأمر عامّة دهره، ثم في آخر أيّامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب، حضرته ورجل يقرأ عليه: أنّ فلاناً رفس[2] فاطمة حتى أسقطت بمحسن [3].

أقول: لأجل روايته لهذا الحديث فقد خُدش في استقامته وصار سبباً للطعن عليه وجرحه وبالتالي إسقاطه عن الاعتبار.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: فقال *(النقيب أبو جعفر)*: إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله أباح دم هبّار بن الأسود لأنّه روع زينب فألقت ذا بطنها، فظهر الحال أنّه لو كان حياً لأباح دم من روع فاطمة حتى ألقت ذا بطنها [4].

وفي أنساب الأشراف لأحمد بن يحيى البلاذري *(المتوفى ٢٧٩)*: إنّ أبا بكر أرسل إلى علي يريد البيعة، فلم يبايع، فجاءه . . . ومعه فتيلة فتلقته فاطمة [5].

وقال أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني [6] في كتاب الملل والنحل، في ذكر مقالات النظام ما لفظه: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح أحرقوها بمن فيها، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.» [7]

(١) ميزان الاعتدال ١: ١٣٩.

(٢) الرفس: الصدمة بالرجل في الصدر. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج٧، ص٢٤٦. باب العين والفاء معاً.

(٣) لسان الميزان: لابن حجر، ج ١ / ص ٢٦٨.

(٤) شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد المعتزلي، ج١٤/ ص١٩٣.

(٥) أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى البلاذري، ج١/ ص٥٨٦.

(٦) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني مات ٥٤٨. المتكلم الأشعري، ط طبقات الشافعية: ٤ / ٥٧٨ تذكرة الحفاظ: ٤ / ١٠٤. مرآة الجنان: ٣ / ٢٨٩. الأعلام، ٧/ ٨٣ مفتاح السعادة: ١ / ٢٦٤. الشذرات: ٤ / ١٤٩.

(٧) الملل والنحل ١: ٥٧.

وقال صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي [1] في الوافي بالوفيات، استدرك على كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان في ترجمة نظام [2]، في ذكر أقواله: وقال: «إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت المحسن من بطنها.» [3]

قال ابن الدمشقي: الأحاديث مستفيضة على أنّه كان لعلي وفاطمة – صلوات الله عليهما – ابن ثالث كان يسمّى محسناً، كما أورد الحافظ ابن عساكر [4] عدّة أحاديث بهذا المعنى. وأيضا أورد أحاديث أخر بهذا اللسان في الحديث: وما بعده من ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ دمشق. والمذكور في تلك الأحاديث أنّه ولد في حياة النبي صلى الله عليه وآله وتوفي في زمانه. وفي عنوان: ولد علي.

وفي أنساب الأشراف لإبن البلاذري [5]: ولد علي بن أبي طالب الحسن والحسين، ومحسن عليهم السلام، درج صغيراً. ومثله معنى ذكره اليعقوبي في ختام ترجمة أمير المؤمنين من تاريخه [6].

شبهة القائلين بنقل الشيخ الطوسي اتفاق الشيعة على عبارة النظام

ولرب قائل يقول:إن الشيخ الطوسي ينقل اتفّاق الشيعة على عبارة النظام من أنَّ عمر ضرب بطن فاطمة حتى أسقطت، في الوقت الذي جاءت الرواية عن (دلائل الإمامة) وغيره أنَّ قنفذاً هو الذي قام بضرب فاطمة (عليها السلام). وهو بذلك يريد أن يقول: إنَّ هذه المنقولات متناقضة فتسقط عن الاعتبار.

(١) صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي الشافعي المتوفى ٧٦٤ المؤرخ الأديب معجم المؤلفين: ٤ / ١١٤.

(٢) النظام المعتزلي إبراهيم بن سيار البصري (١٦٠ ـ ٢٣١ هـ) وقال: قالت المعتزلة إنّما لقب ذلك (النظام) لحسن كلامه نظماً و نثراً، و كان ابن أُخت أبي هذيل العلاف شيخ المعتزلة، و كان شديد الذكاء، و نقل آراءه.

(٣) الوافي بالوفيات: ٥ / ٣٤٧ / ٣٩ / خ،الملل و النحل للشهرستاني: ١ / ٥٧، طبع دار المعرفة، بحوث في الملل و النحل السبحاني، ج٣،ص٢٤٨–٢٥٥.

(٤) تاريخ دمشق، ابن عساكر، تحت الرقم: (١٩ – ٢٠) من ترجمة الإمام الحسن هـ ص ١٦، ط ١. ص ١٧، ط ١.

(٥) أنساب الأشراف، ابن البلاذري: ج٢/ ص١٨٩،ط١.

(٦) تاريخ اليعقوبي: ترجمة أمير المؤمنين، ج٢/ ص٢٠٣.

جواب الشبهة

أولاً:تهالك الصحابة على ضرب السيدة الزهراءعليها السلام

إنَّ الشيعة قد اتفقوا على الأوّل، ولكنّهم لم ينفوا إقدام قنفذ على هذا الأمر أيضاً، فرواية دلائل الإمامة وغيرها شطر كبير منه تثبت مشاركته في هذا الفعل أيضاً، كما أنّ المغيرة بن شعبة قد كان له يد في ضرب فاطمة عليها السلام حتى أدماها، فلا مانع من أن يشارك الجميع في أمر كهذا، ويتسببون في الإسقاط، فيصح نسبته إليهم جميعاً، وإلى كل واحد منهم أيضاً، لتسببهم به. فهذه النسبة لا تعني أنَّ كل واحد منهم كان علّة تامة في الإسقاط.

ثانياً: تكرار الهجوم بمرآى ومسمع أبي بكر

لقد أوضحت النصوص: إنَّ الهجوم قد تكرّر على بيت فاطمةعليها السلام، كما أنَّ مبايعات أبي بكر قد تكرّرت أيضاً [1] وقد حصلت إحدى هذه المرات وهي محاولة الإحراق، فيما كان أبو بكر جالساً على المنبر يبايع له، ويرى ما يجري ولم ينكر ذلك، ولم يغيره، كما ورد في أمالي المفيدرحمه الله، وحصول هجومات عديدة نجده في العديد من الروايات بصورة صريحة حيناً، وهو مقتضى الجمع بين الروايات، حيث تلاحظ خصوصيات الأشخاص والتصرّفات التي ميزت كل هجوم حيناً آخر. بل بعض الروايات تؤكد: أنَّ أبا بكر نفسه كان يصدر الأوامر بالهجوم، وقد سبق الهجوم تهديدات بالإحراق وجمع للحطب . ثم أضرمت النار بصورة جزئية، ثم كسر الباب، وضربت الصدّيقة الطاهرة، من أكثر من شخص من المهاجمين، وسقطت إلى الأرض، ورفسّها ذلك الرجل برجله أيضاً [2]. وهذا اعترافات واضحة من كبار علماء أهل السنّة بوقوع هذه الواقعة العظمى وتلك الطامة

(١) الشافي لابن حمزة، ج ٤ / ص ١٨٨.

(٢) أنظر: مأساة الزهراء، السيد جعفر مرتضى العاملي، ج١، ص٣١٣.

روايات كشف بيت الزهراء عليها السلام

كشف القوم بيت فاطمة الزهراء عليها السلام وهجموا على دارها، وهذا من الأمور المسلّمة التي لا يشك ولا يشكك فيها أحد حتّى ابن تيمية.

منها ما قالها أبو بكر حينما دنت منه الوفاة: ما جاء في كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام المحدث الحافظ الكبير. قال: أجل إني لا آسى على شيء من الدنيا إلّا على ثلاث فعلتهن وددت أنّي تركتهن وثلاث تركتهن وددت أني فعلتهن وثلاث وددت أني سألت عنهنَّ رسول الله، فأمّا الثلاث اللاتي وددت أنّي تركتهنَّ: وهذا حديث مهم جدّاً، والقدر الذي نحتاج إليه الآن:

أولاً: فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على الحرب.

ثانياً: ووددت أني لم أكن حرقت الفجاءة السلمي وأني كنت قتلته سريحاً أو خليته نجيحاً.

ثالثاً: ووددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين يريد عمر وأبا عبيدة فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً.»[1]

ثمّ إنّ صاحب «الأموال» وإن لم يصرّح بلفظ الخليفة وكرّه التلفّظ به، لكن غيره جاء بنفس النص الذي أدلى به الخليفة يوم كان طريح الفراش .

منهم:

١- محمّد بن يزيد بن عبد الأكبر البغدادي (١١٠-٢٨٥هـ) أحد الأُدباء الكتّاب، وصاحب الآثار الممتعة، وقد نقل في كتاب «الكامل» ما روي عن عبد الرحمن بن عوف عند ما زار أبا بكر في مرضه الذي مات فيه، و قال: دخلت على أبي بكر أعوده

(١) كتاب الأموال، ص١٣١، الإمامة والسياسة: ج١،ص ١٨، العقد الفريد، ج٢، ص٢٥٤. الطبري، ج٤، ص٥٢ الطبعة الأولى، الإمامة والسياسة، ج١، ص٣٤ طبعة مؤسسة الحلبي بمصر. ابن عساكر ج٣٠،ص ٣٥.كنزالعمال، ج٥، ص٦٣٥.اليعقوبي، ج٢،ص٢١٧.

في مرضه الذي مات فيه فسلمت و سألته: كيف به؟ فاستوى جالساً، إلى أن قال: قال أبوبكر: أمّا إنّي لاآسى إلّا على ثلاث فعلتهنّ ووددت انّي لم أفعلهنّ، وثلاث لم أفعلهنّ ووددت انّي فعلتهن، وثلاث وددت انّي سألت رسول اللهّ عنهم .

فأمّا الثلاث التي فعلتها و وددت أنّي لم أكن كشفت عن بيت فاطمةعليها السلام و تركته و لو أُغلَق على حرب، و وددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين: عمر أو أبي عبيدة، فكان أميراً و كنت وزيراً، و وددت أنّي إذا أتيت بالفجاءة لم أكن أحرقته و كنت قتلته بالحديد أو أطلقته. وأمّاالثلاث التي تركتها و وددت أنّي فعلتها . . . [1]

٢- المسعودي في مروج الذهب: إنَّ أبا الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي *(المتوفّى عام ٣٤٦ هـ)*، أحد المؤرخين البارعين الذين كان لهم دور هام في تدوين تاريخ الإسلام، و قد ذكر في تاريخه المعروف بـ «مروج الذهب» عند ذكر أبي بكر ونسبه ولمع من أخباره وسيره، قال:

ومن كلامه *(ابى بكر)* إنّه لما احتضر، قال: ما آسى على شيء إلاّ على ثلاث فعلتها وَدِدْتُ أنّي تركتها، و ثلاث تركتها وَدِدْتُ أنّي فعلتها، و ثلاث وَدِدْت أنّي سألت رسول اللهّصلى الله عليه وآله عنها، فأمّا الثلاث التي فعلتها و وددت انّي تركتها، فوددت انّي لم أكن فتشت بيت فاطمةعليها السلام ـ وذكر في ذلك كلاماً كثيراً ـ ووددت انّي لم أكن حرقت الفجاءة وأطلقته نجيحاً أو قتلته صريحاً، ووددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين فكان أميراً و كنت وزيراً، والثلاث التي تركتها وودت انّي

(١) شرح نهج البلاغة، ج٢،ص ٤٥ ـ ٤٧ ولاحظ الكامل، ج١،ص ١١، تحقيق الدكتور محمّد أحمد الدّالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، و يظهر من محقّق الكتاب انّه وجد النص في الكامل حيث نقل شيئاً منه حول هذا النص. إلاّ أنَّ اليد الأمينة على التراث حرّفت الباقي فلم تذكر الرواية برّمتها حسب ما نقله ابن أبي الحديد عن الجوهري عن الكامل للمبرد.
نعم أشار المحقق في ذيل الصفحة إلى ما رواه صاحب العقد الفريد.

فعلتها . . . الخ.»[1]

٣- الطبراني في المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ ـ ٣٦٠ هـ) صاحب «المعجم الكبير» يعرّفه الذهبي في ميزانه، ويقول: حافظ، ثبت[2] فقد نقل في فصل اسمّاه «ممّا اسند أبو بكر عن رسول اللهّ» فجاء في ذلك الفصل حديث عبد الرحمن بن عوف أبا بكر في مرضه الذي توفّي فيه، فقال أبو بكر له: أمّا أنّي لا آسى على شيء إلاّ على ثلاث فعلتهن ووَدِدْتُ أنّي لم أفعلهن، وثلاث لم أفعلهن وددت انّي فعلتهن،وثلاث وددت انّي سألت رسول اللهّ صلى الله عليه وآله عنّها، فأمّا الثلاث اللاتي وددت أنّي لم أفعلهن، فوددت انّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وإن أُغلق على الحرب، ووددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين أبي عبيدة أو عمر، فكان أميراً و كنت وزيراً . . .الخ. [3]

٤- ابن عبد ربه في العقد الفريد قد تقدّم كلام ابن عبد ربه عند ذكر الحوار الذي دار بين فاطمة وعمر بن الخطاب من دون أن يشير هناك إلى الحوادث المريرة التي وقعت بعده، ولكنّه صرّح في مورد آخر بكشف الدار حيث نقل حديث عبد الرحمن بن عوف عند ما زار أبا بكر في مرضه، فقال: وقال تحت عنوان استخلاف أبي بكر لعمر: أجل انّي لا آسي على شيء من الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتهن، ووددت اني تركتهن، وثلاث تركتهن ووددت انّي فعلتهن، و ثلاث وددت انّي سألت رسول اللهّ صلى الله عليه وآله عنهن. فأمّا الثلاث التي فعلتهن و وددت انّي تركتهن، فوددت انّي لم أكشف بيت فاطمة عليها السلام عن شيء و إن كانوا أغلقوه على الحرب، . . .الخ.» [4]

(١) مروج الذهب، ج٢، ص٣٠١، طبعة دار الأندلس، بيروت.

(٢) سير اعلام النبلاء؛ ميزان الاعتدال، ج٢، ص١٩٥، رقم الترجمة ٣٤٢٣.

(٣) المعجم الكبير: ١ / ٦٢، برقم ٤٣.

(٤) العقد الفريد، ج٤، ص٩٣، تحت عنوان استخلاف أبي بكر لعمر.

٥- الجويني في فرائد السمطين: إبراهيم بن محمّد الحديد المعروف بالجويني *(المتوفّى عام٧٢٢هـ)* من مشايخ الذهبي، يقول في حقّه: إمام، محدّث، فريد، فخر الإسلام وصدر الدين[١]، فقد روى في كتاب فرائد السمطين بالسند المذكور فيه عن ابن عباس، إنَّ رسول اللهّ ﷺكان جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن عليه السلام، فلما رآه بكى، ثمّ قال: **إليَّ إليَّ يا بُنيّ فمازال يُدنيه حتّى أجلسه على فخذه اليمنى** . ثمّ أقبل الحسين عليه السلام فلمّا رآه بكى، ثمّ قال: **إليَّ إليَّ يا بُنيّ، فمازال يُدنيه حتّى أجلسه على فخذه اليُسرى.** ثمّ أقبلت فاطمة عليها السلام، فلمّا رآها بكى، ثمّ قال: **إليَّ إليَّ يا بُنيّة فاطمة، فاجلسها بين يديه.** ثمّ أقبل أمير المؤمنين علي عليه السلام، فلمّا رآه بكى، ثمّ قال: **إليّ إليّ يا أخي، فمازال يدنيه حتى أجلسه إلى جنبه الأيمن.**

فقال له أصحابه يا رسول اللهّ! ما ترى واحداً من هؤلاء إلاّ بكيت ! أو ما فيهم من تسرّ برؤيته ؟ فقال ﷺ: والذي بعثني بالنبوّة، واصطفاني على جميع البرية، إنّي و إيّاهم لأكرم الخلائق على اللهّ عزّ وجلّ و ما على وجه الأرض نسمة أحبَّ إليَّ منهم.

إلى أن قال: «و أمّا ابنتي فاطمة فانّها سيدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، وهي بضعة منّي وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبيّ، وهي الحوراء الإنسيّة، متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جلّ جلاله، زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض. ويقول اللهّ عزّ وجلّ لملائكته: يا ملائكتي، انظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمائي قائمة بين يدي، ترعد فرائضها من خيفتي وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أُشهدكم انّي قد أمّنت شيعتها من النار . وانّي لما رأيتها ذكرتُ ما يُصنع بها بعدي كأنّي بها و قد دخل الذُّل بيتها وانتهكت حرمتها و غصب حقّها، ومنعت إرثها، وكُسر جنبها، وأسقطت جنينها، و هي تنادي يا محمّداه فلا تجاب، و تستغيث فلا تغاث.» [٢]

(١) معجم شيوخ الذهبي، ص١٢٥ رقم الترجمة ١٥٦.

(٢) فرائد السمطين، ج٢، ص٣٤ـ ٣٥، طبعة بيروت.

٦- الذهبي في تاريخ الإسلام: يقول شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي *(المتوفّى ٧٤٨هـ)* في كتاب تاريخ الإسلام: روى علوان بن داود البجلي، عن حميد بن عبد الرحمن عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه، و قد رواه الليث بن سعد عن علوان عن صالح نفسه، قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه فسلمت عليه وسألته كيف أصبحت ؟

فقال: «بحمد اللهّ بارئاً»، إلى أن قال: ثمّ قال: انّي لا آسى على شيء إلاّ على ثلاث فعلتهن و ثلاث لم أفعلهن، وثلاث وددت أنّي سألت رسول اللهﷺعنهن: وددت انّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وأن أُغلق عليّ الحرب، وددت انّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق عمر أو أبي عبيدة»[1]

٧- عبد الفتاح عبد المقصود و كتاب «الإمام عليعليه السلام أحد الكتّاب البارعين في العصر الحاضر، فقد جدّ وثابر وبذل جهوداً جبارة وأخذ زبدة المخض من الحقائق الناصعة وقدّم بكتابه هذا خدمة مشكورة وقال في حادثة الدار» إنّ عمر قال: «والذي نفسي بيده، ليخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها.

قالت له طائفة ـ خافت اللهّ، ورعت الرسول في عقبه: يا أبا حفص إنَّ فيها فاطمة . . فصاح لا يبالي: و إن .

واقترب وقرع الباب، ثمّ ضربه و اقتحمه . . . بدا له عليّ.

ورنّ حينئذاك صوت الزهراء عند مدخل الدار.

فأن هي إلاّ رنة استغاثة أطلقتها: « يا أبت رسول اللهّ . . . » تستعدي بها الراقد بقربها في رضوان ربّه على عسف صاحبه، حتّى تبدّل العاتي المدل غير إهابه، فتبدّد على الأثر جبروته، وذاب عنفه وعنفوانه، وودّ من خزى لو يخرّ صعقاً تبتلعه مواطئ قدميه

(١) تاريخ الإسلام، ج٣، ص١١٧ ـ ١١٨.

ارتداد هدبه إليه.

وعندما نكص الجمع، و راح يفرّ كنوافر الظباء المفزوعة أمام صيحة الزهراء، كان عليّ يقلّب عينيه من حسرة وقد غاض حلمه، و ثقل همّه، وتقبضت أصابع يمينه على مقبض سيفه كهمّ من غيظه أن تغوص فيه.» [1]

اعتراف ومماطلة

بعد أن أقرّ ابن تيمية *(المتوفى ٧٢٨)* بهذه الروايات، فهو لم ينكر أصل القضية ولم ينكر تمنّي أبي بكر، وإنما يبرر هذا الهجوم بقوله:

إنّه كبس البيت لينظر هل فيه شئ من مال الله الذي يقسمه وأن يعطيه لمستحقه، ثم رأى أنّه لو تركه لهم لجاز، فإنّه يجوز أن يعطيهم من مال الفي. [2]

الجواب: كبس لغة:

قال ابن منظور: والتَّكْبيس والتَّكَبُّس: الاقتحام على الشيء، وقد تَكَبَّسوا عليه، ويقال: كَبَسوا عليهم،ويقال: كبسوا عليهم . وفي نوادر الأعراب: جاء فلان مكبساً وكابساً إذا جاء شاداً، وكذلك جاء مكلساً أي حاملاً [3]

وقال: الفيروز آبادي في القاموس المحيط: كَبَسَ البِئْرَ والنَّهْرَ يَكْبِسُهما: طَمَّهُما بالتُّرابِ، وذلك التُّرابُ: كِبْسٌ، بالكسر، و رأسَهُ في ثَوْبِهِ: أخْفَاهُ، وأدْخَلَهُ فيه، وغارٌ في أصْلِ الجَبَلِ، و- دارَهُ: هَجَمَ عليه.» [4]

يقول الزبيدي في تاج العروس:كبس داره: هجم عليه وإحتاط به وزاد الزمخشري:

(١) عبد الفتاح عبد المقصود: الإمام علي عليه السلام، ج٤، ص٢٧٤ ـ ٢٧٧. و له كلمة أُخرى في هذا الموضوع لاحظ الجزء ١ / ١٩٢ـ ١٩٣ لم نأت بها روماً للاختصار.

(٢) منهاج السنة، ج٤، ص٣٤٣، طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٦،ص١٩١.

(٤) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص٢٤٤.

وكبس تكييساً، مثله، أي أقتحم عليه.»[1]

الصحاح في اللغة للجوهري: وكبسوا دار فلان: أغاروا عليها فجأة[2].

ثم نسأل: هل كبس أبو بكر بيت أحد غير بيت الإمام علي؟ !

هل هو يتهم الإمام علياً بسرقة مال الله وإخفائه عن الناس وحبسه عن غير مستحقه؟

هل كان بيت عليعليه السلام هو بيت مال المسلمين حتى يرى إن كان فيه مال أو لا؟ !

وكيف وصل المال المزعوم إلى بيت الإمام علي؟ ..!

ولماذا لم يوضع هذا المال في غير بيت عليعليه السلام ؟!

اخرج البخارى غضب فاطمةعليها السلام على ابى‌بكر واستدام هذا الغضب حتى توفيت.

ثم يحق لنا أن نسأل ابن تيمية:

من أين أتى بهذه الأعذار الواهية البعيدة كل البعد عن المنطق ؟

هل هناك نصوص تاريخية تدعم رأيه ودفاعه عن أبي بكر؟ وتؤيد قوله المذكور؟

قرائن وشواهد

إنّ هناك قرائن وشواهد تدل بوضوح على أنّ سيّدة نساء العالمينعليها السلام استقبلت بعد رحيل أبيها حوادثَ مريرة من قبل من تسنّم منصة الخلافة، ويدلّ على ذلك الأُمور التالية:

أ. إنَّ فاطمة هجرت أبا بكر ولم تكلمه إلى أن ماتت.

أخرج البخاري في كتاب الخمس «فغضبت فاطمة بنت رسول اللهّ فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت[3] .

وأخرج في كتاب الفرائض وقال: فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت[4] .

(١) الزبيدي، تاج العروس، ج٨،ص٤٣٨.

(٢) الجوهري، الصحاح، ج٣،ص٩٦٩.

(٣) صحيح البخاري، ج٤، كتاب الخمس.

(٤)صحيح البخاري، ج٩، كتاب الفرائض.

وذكر في كتاب المغازي في باب غزوة خيبر قوله: فوجدت فاطمة على أبي بكر فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت [1].

فما ظنك بروايات يرويها الإمام البخاري، وما هذا إلاّ لأنّها انتهكت حرمتها حتّى لاذت بقبر أبيها، وقالت:

ماذا على من شمّ تربة أحمد ألاّ يشم مدى الزمان غواليا

صُبَّت عليَّ مصائب لو أنّها صُبَّت على الأيّام صرن لياليا [2]

ب ـ إنَّ علياً لما جهز فاطمة الزهراء وأودعها في قبرها، هاج به الحزن، وخاطب الرسولﷺ، وقال: ستنبّئك ابنتك بتضافر أُمّتك على هضمها، فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد ولم تخل منك الذكر [3].

كلّ ذلك يعرب عن أنّها عليها السلام ماتت مظلومة، مقهورة، مغصوبة الحقّ.

ج ـ إنها دفنت ليلاً بإيصاء منها، فما هو السرّ في هذا الإيصاء.

قال البلاذري بعد ذكره السند: إنَّ علياً دفن فاطمةعليها السلام ليلاً، إلى أن قال: وأوصت فاطمةعليها السلام أن تحمل على سرير طاهر، فقالت لها أسماء بنت عميس: اصنع لك نعشاً كما رأيت أهل الحبشة يصنعون فأرسلت إلى جريد رطب فقطعته، ثمّ جعلت لها نعشاً، فتبسمت ولم تر متبسمة بعد وفاة النبيّﷺ إلاّساعتها تيك، و غسلها عليّ، و أسماء، و بذلك أوصت ولم يعلم أبو بكر و عمر بموتها [4].

وأخيراً إنَّ ما ذكرناه من المصادر الكثيرة يكفي في إثبات المقصود ولو أضفنا إليه ما ذكره مؤرّخو الشيعة ومحدّثوهم حول حوادث السقيفة، لأصبحت القضية من المتواترات

(١) صحيح البخاري، ج٥، باب غزوة خيبر.

(٢) وفاء الوفا، ج٢، ص٤٤٤.

(٣) نهج البلاغة: خطب الإمام علي،ج٢،ص١٨٢ الخطبة ٢٠٢.

(٤) أنساب الأشراف، ج١، ص٤٠٥.

بل الضروريات التي لا يشكّ فيها من له إلمام بالتاريخ.

وبالجملة يكفي في ثبوت هذه الروايات، سواءً كان التهديد بالحرق أو كشف الدار وضرب السيدة الزهراء عليها السلام وإسقاط المحسن عليه السلام أو اقتياد أمير المؤمنين عليه السلام رواية جملة من علمائهم لها، بل رواية الواحد منهم لها لا سيّما مع تواترها عند الشيعة، ولا يحتاج إلى رواية ممّن أجهد نفسه في بغض أهل البيت عليهم السلام.

ويمكن أن نختم هذه الأبواب بقول المؤرخ المصري عبد الفتاح عبد المقصود قال: إنَّ الصورة التي رسمها التاريخ لا تخفي أنَّ أبا بكر وصاحبيه كانوا على بيّنة بالخلافة فيمن ينبغي أن تنحصر، ولمن يجب أن تؤول، إن لم يكن استناداً إلى ما سمعوه من لسان الرسول، فبمقتضى فضله وقدمته وارتفاع ذكره بين المسلمين، ارتفاعاً شاع وملأ الأسماع، حتّى لأوشك أن ينعقد حينئذٍ على أفضليته الإجماع . . كانوا يعلمون أنّه الأوّلى بالأمر بعد ابن عمه العظيم، ثم لم يمنعهم علمهم هذا أن يبادروا إلى ما هو له فتقبض أكفهم عليه . . وسواءً افعلوا ذلك عن اختيار أم اضطرار، عمداً وقصداً، أم أكرهتهم الظروف على البدار، فإنّهم في الصورة التاريخية المرسومة أو على الأقل في رأي الكثيرين، وقد غمطوا ابن أبي طالب حقه المعلوم . .[1].

شبهات وردود

- الشبهة الأولى:

١- قالوا أنَّ عليّاً عليه السلام ذلك الرجل الذي قتل أبطال العرب وناوش ذؤبانهم، هو الذي قدَّ مرحباً وعمرو بن عبد وُدّ وهو الذي كانت ضرباته وَتراً، كيف يمكن تصوُّر استسلامه للغاصبين ومن ثم إخراجه من البيت قهراً، وتهديده بالقتل؟

(١) السقيفة لعبد الفتاح عبد المقصود، ص١١١.

❖ جواب الشبهة:

لكي نحيط بأبعاد المؤامرة بشكل دقيق وواضح،لا بد لنا أن نعرف.

أولاً: نوعية المؤامرة التي حيكت خيوطها تحت مظلّة السقيفة.

ثانياً:الأيدّي التي ساهمت في إنجازها .

أولاً: نوعية المؤامرة:

١- الانقلاب على الأعقاب:

بعد وفاة رسول اللهﷺ انطوت قريش على مكنون حقد دفين أظهرته من خلال ثورة عارمة على أهل بيتهﷺ واستئصالهم تماماً عن خلافته الإلهية وتأسيس دولة إسلامية ذات طابع علماني مبتني على انتقال الخلافة بين قبائل قريش ناقضين بذلك جميع الأُسس الإلهيّة التي جاءت لكي تؤسس منهجاً إسلامياً مبتنياً على الارتباط بالوحي الإلهي والنص النبوي، هذا العهد اتخذ بإجماع حزب الطلقاء ومن سوّلت لهم أنفسهم من المهاجرين والأنصار بتنحية بنو هاشم بعد أن نالوا حضاً وافراً من النبوّة إذ لا تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد.

٢- إبعاد عليعليه السلام عن الخلافة الإلهية:

من أهم ما يميز المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت أنّه مجتمعاً غارقاً برواسب الجاهلية والنعرات العشائرية والقبلية التي حالت دون تأييد المسلمين للإمام عليعليه السلام إذ كانوا ينظرون إلى مسالة خلافة الإمامعليه السلام بأنّها مجرّد زعامة أثرها الرسول لأبن عمه وقبيلته، ولم يكونوا ينظرون لها من زاوية عقيدية وأنها اختيار الله سبحانه وتعالى، يقول السيد الصدر: «حول هذه النقطة: «وأنا أظن ظناً

كثير من العلماء ينقلون هجوم عمر الى بيت فاطمةعليها السلام و اسقاط جنينها و احراق بيتها

كبيراً أن علي بن أبي طالب عليه السلام لو لم يكن ابن عم النبي صلى الله عليه وآله لو أن الصدفة لم تشأ أن يكون الرجل الثاني في الإسلام، لو لم يكن من أسرة محمّد صلى الله عليه وآله لو كان من عدي أو لو كان من تميم، لو كان من أسرة أخرى لكان لهذه الولاية مفعول كبير جداً...[1]».

٣- إعداد كوادر معادية لأهل البيت عليهم السلام لتولي مناصب الحكم

أشرف الحزب القرشي على إعداد كوادر يتّصفون بحنقهم وعدائهم لعلي وأهل بيت عليهم السلام وتهيئتهم في المنافسة لهم في الوصول إلى المناصب العالية في الحكم، ويحتل الأمويون موقع الصدارة في هذا المضمار؛ لما تميزوا به من طموحات عالية في السلطة والخلافة، لذا نجدهم قد احتلوا المناصب الإدارية المهمة أيّام أبي بكر وعمر، مضافاً لمبدأ الشورى الذي ابتدعه عمر، ليعطي الحظ الأوفر لعثمان بن عفان للوصول إلى دفة الحكم، وقد أخذت هذه الكتلة تزداد وتتسع يوماً بعد يوم حتى استتبت لها الأمور؛ وذلك لأنّها لم تكن متمثلة في شخص واحد، بل كانت في بيت كبير من قريش، وبالتالي سوف يكون وصول آل محمّد عليهم السلام إلى سدّة الحكم متعذراً، أو ليس سهلاً على أقل تقدير.

٤- الحيلولة دون وصول بنو هاشم إلى أي منصب رئاسي في الدولة البكرية العمرية

أجمع القوم الذين حضروا السقيفة أن يشترطوا في إعطاء البيعة لأبي بكر هو منع بنو هاشم من الوصول إلى سدّة الحكم، قال عبد الرحمن بن عوف: أبايعك على شرط عمر أن لا تجعل أحداً من بني هاشم على رقاب الناس: أي عدم توليه هاشمي، فقال علي عند ذلك: ما لك ولهذا إذا قطعتها في عنقي فإن عليَّ الاجتهاد لأمّة محمّد حيث علمت القوة والأمانة استعنت بها كان في بني هاشم أو غيرهم، قال عبد الرحمن: لا

(١) أهل البيت تنّوع أدوار ووحدة هدف. دار التعارف للمطبوعات، ص٨٣.

والله حتى تعطيني هذا الشرط، قال علي: والله لا أعطيكه أبدا[1].

ومعنى ذلك أنّ عبد الرحمن قد سار على نهج الخلفاء الثلاثة.

٥ – عزل كل العناصر التي تميل إلى بني هاشم:

أيضاً من بنود الإتفاق أن يقوم الخليفة الجديد بعزل جميع من له ميل وحبّ لأهل البيت عليهم السلام، ولذا عزل أبو بكر خالد بن سعيد بن العاص عن قيادة الجيش الذي وجّهه لفتح الشام، لأنَّ عمر نبه أبا بكر إلى نزعة خالد الهاشميّة، وميله لآل محمّد عليهم السلام، وذكّره بموقفه المعارض لهم بعد وفاة الرسول[2].

٦ – السعي لإضعاف القدرة الاقتصادية:

العامل الاقتصادي له دور كبير في تحفيز الرجال وشحذ هممهم للنصرة، وهذا ماكان يؤرق الحكّام الجدد، فقاموا بسلب فدك والعوالي عن بيت النبوة خشية أن يستثمرها الإمام عليه السلام في الدعوة لاستعادة حقّه الشرعي في الخلافة، لعلمهم أنّها كانت سنداً قوياً لعلي عليه السلام، لا سيّما وأنّ أبا بكر نفسه اتخذ المال وسيلة من وسائل الإغراء وكسب الأصوات، وإليك بعض تلك الشواهد:

منها:

أ- شراء الذمم بالأموال والمناصب:

عندما عاد أبو سفيان إلى المدينة سأل عمّا جرى أثناء غيبته عنها: فقالوا: مات رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: من وليِّ بعده؟ قيل: أبوبكر، قال: أبو فصيل؟! قالوا: نعم، قال: ما فعل

الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام في المسلمات التي لا يمكن انكارها و حتى ابن تيميه لا يشك فيه

(١) الإمامة والسياسة، ص ٢٥.

(٢) تاريخ الطبري، الطبري، ج٢، ص ٥٨٦.

المستضعفان علي والعباس؟ أمّا والذي نفسي بيده لأرفعنَّ لهما من أعضادهما، قال أبو بكر، وذكر الراوي وهو جعفر بن سليمان: إنّ أبا سفيان قال: شيئاً آخر لم تحفظه الرواة، فلمّا قدم المدينة قال: إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلاّ دم، فكلّم عمر أبا بكر، فقال: إنّ أبا سفيان قدم وإنا لا نأمن شرّه، فدفع إليه ما في يده فتركه ورضي [1]. وكان في يد أبي سفيان في ذلك الحين صدقات كثيرة للمسلمين قد جمعها منهم ؟!

ولم يقف الأمر على الرشوة المالية حتّى تعداه إلى الرشوة السلطوية، إذ يظهر أن أبا سفيان لم يقنعه المال وحده، بل طمح إلى أبعد من ذلك، فقال أبو سفيان: ما لنا ولأبي فصيل ؟ ! إنّما هي بنو عبد مناف! ! فقيل له: إنّه قد ولي ابنك، قال: وصلته رحم [2] .

ب- التسلل إلى بعض الرموز المهمّة:

أجمع أرباب التاريخ أنّ أبا بكر أرسل إلى عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة، فقال: ما الرأي[3]؟ قالوا: الرأي أن تلقي العباس بن عبد المطلب فتجعل له في هذا الأمر نصيباً، يكون له ولعقبه من بعده، فتقطعون به ناحية علي بن أبي طالب عليه السلام، حجّة [4] لكم على علي إذا مال معكم، فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح والمغيرة حتى دخلوا على العباس ليلاً [5].

ما ورد في وصية فاطمة عليها السلام قبل رحيلها اصدق شاهد على انظلامه و غضبه على من هجم على بيتها و قتل بنينها

(١) السقيفة، أبو بكر الجوهري، ص٣٩. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج٢ ص٤٤. شرح النهج، ج١، ص١٣٠ – مصطفى البابي الحلبي.

(٢) تاريخ الطبري، ج٣، ص٢٠٢.

(٣) في نص الجوهري أنّ قائل هذا الرأي هو المغيرة بن شعبة وهذا هو الأقرب إلى الصواب.

(٤) هذه الزيادة في نسخة الإمامة والسياسة، ج١، ص١٤.

(٥) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢٤–١٢٥؛ ونحوه الإمامة والسياسة، الدينوري، ج١، ص٢١؛ السقيفة، أبو بكر الجوهري، ص٤٩؛ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي، ج٢، ص٥٢.

ج- الإجحاف في تقسيم الأموال:

لما اجتمع الناس على أبي بكر قسّم قسماً بين نساء المهاجرين والأنصار، فبعث إلى امرأة من بني عدي بن النجار قسماً مع زيد بن ثابت، فقالت: ما هذا ؟ قالوا: قسم قسّمه أبو بكر للنساء، قالت: أتراشونني عن ديني فقالوا: لا، فقالت: أتخافون أن أدع ما أنا عليه ؟ فقالوا: لا، فقالت: والله لا آخذ منه شيئاً أبداً [1].

ومنها: منح أبو بكر مزايا خاصّة لابنته عائشة، إذ إنّه جعل زيادة في عطائها ألفي دينار بعدما جعل عطايا أمهات المؤمنين ستة آلاف دينار لكل واحدة[2]، واستمرت عائشة بأخذ الزيادة في عهد أبيها وعمر الذي أوصى له بالخلافة من بعده.

ثانياً: الأيدّي التي ساهمت في إنجازها:

كان الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وتركوا جنازة الرسول يغسّله أهله، فقالوا: نولي هذا الأمر بعد محمّد، سعد بن عبادة .وكان بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي وأسيد بن الحضير سيد الأوس، يضمران الحقد لزعيم الخزرج سعد بن عبادة وينافسانه في السيادة فحسداه على هذا الترشيح وخافا أن يتم له الأمر، فأضمرا له الحقد الدفين مجمعين على صرف الأمر عنه بكلّ ما لديهما من وسيلة، وصافقهما على ذلك عويم بن ساعدة الأوسي [3]، ومعن بن عدي[4] حليف الأنصار، وقد كان هذان على اتفاق سرّي مع أبي بكر وعمر وحزبهما، فكانا من أولياء أبي بكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانا مع ذلك ذوي بغض وشحناء لسعد

(١) السقيفة وفدك، ص٥١؛ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج٢، ص٥٣. وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى، ج ٣، ص١٨٢.

(٢) راجع: تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ج٢، ص١٥٣.

(٣) صحابي أنصاري كان مؤاخياً لعمر بن الخطاب (الاستيعاب،ج ٣، ص١٧٠).

(٤) ابن هشام، ج٤، ص٣٣٩ وفي الموفقيات للزبير بن بكار (معن بن عدي) بدل (عاصم) راجع ابن أبي الحديد، ج ٢ في شرحه (ومن كلام له في معنى الأنصار).

بن أبي عبادة، فانطلق عويم إلى أبي بكر وعمر مسرعاً فشحذ عزمهما لمعارضة سعد، وأسرع بهما إلى السقيفة ومعهما أبو عبيدة، وسالم مولى أبي حذيفة، ولحقهم آخرون من حزبهم من المهاجرين، فكثر بينهم اللغط وارتفعت الأصوات، حتى فرقت من الاختلاف، فقال عمر: ابسط يدك يا أبا بكر ! فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار[1]. ولما رأت الأوس ما صنع بشيربن سعد *(الخزرجي)* وما تدعوا إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض، وفيهم أسيد بن الخضير، وكان أحد النقباء: والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة، لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر . وفي رواية المعتزلي: لما رأت الأوس أنَّ رئيساً من رؤساء الخزرج قد بايع، قام أسيد بن حضير، وهو رئيس الأوس، فبايع حسداً لسعد ومنافسة له أن يلي الأمر [2]. فقاموا إليه فبايعوه، فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم. فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر، وكادوا يطؤون سعد بن عبادة (*في رواية عمر في البخاري: فنزونا على سعد بن عبادة* [3]). فقال أُناس من أصحاب سعد: اتقوا سعداً لا تطؤوه ! فقال عمر: اقتلوه ! قتله الله ! ثم قام على رأسه، فقال: لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضوك . إلى أن وثب ابنه قيس بن سعد، وأخذ بلحية عمر وقال له: والله يابن الصهاك الحبشية الجبان الفرار في الحروب والليث في الأمن، لو حركت منه شعرة ما رجعت إلى وجهك ضاحكة، أي: ما أبقيت لك سناً تبدو عند الضحك. فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر ! الرفق هاهنا أبلغ . فأعرض عنه عمر. وقال سعد: أما والله لو أن بي قوة ما، أقوى على النهوض، لسمعت مني في

(١) البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا.

(٢) شرح نهج البلاغه، لابن أبي الحديد، ج٢،ص ٢.

(٣) نسبه في جمهرة ابن حزم، ص ٦٥، والاستيعاب، ج٢، ص٣٢ – ٣٨ والإصابة، ج٢،ص٢٧ – ٢٨.

أقطارها وسككها زئيراً يحجرك وأصحابك ; أمّا والله إذا لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع ؛إحملوني من هذا المكان . فحملوه فأدخلوه في داره [1].

وأخرج البخاري بسنده عن عائشة قالت: لقد خوف عمر الناس وإن فيهم لنفاقاً فردّهم الله بذلك[2].

وروى أبو بكر الجوهري: أنَّ عمر كان يومئذ - يعنى يوم بويع أبو بكر - محتجزاً يهرول بين يدي أبي بكر ويقول: ألا إن الناس قد بايعوا أبا بكر [3] .

وحال انتهاء مؤتمر السقيفة وحفاظاً على هذا المنجز الذي حصل فلتةً قام عمر بن الخطاب بنشر قوةً عسكريةً ملئ بها جميع سكك المدينة، وذلك بالاستنجاد بمرتزقة العرب بعد استمالتهم ببعض المغريات والمناصب، يقول الطبري: وأقبلت أسلم بجماعتها وهم بكامل أسلحتهم وبأيديهم مشاعل النيران حتّى تضايقت بهم السكك تبحث عن معارض لتفتك به، فكان عمر يقول: ما هو إلّا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر[4]. فلما بويع أبو بكر أقبلت الجماعة التي بايعته تزفه زفاً إلى مسجد رسول الله ﷺ فصعد على المنبر - منبر رسول الله ﷺ- فبايعه الناس حتى أمسى، وشغلوا عن دفن رسول اللهﷺ حتى كانت ليلة الثلاثاء[5].

وهذا دليل واضح على أنَّ هناك مؤامرة قد خطط لها عمر بن الخطاب، قد حشدّ لها الكثير من مرتزقة العرب في بسط نفوذ بنود السقيفة، هذه الشبكة الهائلة من العلاقات

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ط سويدان، ج٣، ص٢٢١ - ٢٢٢.

(٢) ـ المصدر السابق،ج٧،ص٢٤ ح٣٦٦٩.

(٣) في كتابه السقيفة، راجع ابن أبي الحديد، ج١، ص١٣٣. وفي ٧٤ منه بلفظ آخر.

(٤) الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (المتوفي٣١٠)، التاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٤٤، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت. وقال الزبير بن بكار في الموفقيات برواية النهج، ج٦،ص ٢٨٧: (فقوي بهم أبو بكر) ولم يعينا متى جاءت أسلم ويقوى الظن أن يكون ذلك يوم الثلاثاء. وقال المفيد في كتابه (الجمل): إن القبيلة كانت قد جاءت لتمتار من المدينة (الجمل، ص٤٣)

(٥) الموفقيات، ص ٥٧٨؛ والرياض النضرة، ج١، ص١٦٤، وتاريخ الخميس، ج ١، ص١٨٨. ابن هشام فى سيرته، ج٤، ص٣٤٠. والطبري، ج٣، ص٢٠٣ (وط. أوروبا، ج١،ص ١٨٢٩).

والمعتقدات، مكّنت زعامة الأكثرية من اختراق وحدة القلّة المؤمنة، ومن إيجاد شرخ فيها، ومكّنت عمر بن الخطاب من تكوين جبهة عريضة، تتكون من الأكثرية التي كانت مشركة ثم أسلمت، ومن المرتزقة من الأعراب.

فلسفة سكوت الإمام علي عليه السلام

إنّ الطريق للجواب على هذه الإشكالات والشبهات يكون عن طريق أمرين:

الأمر الأوّل: نقضي.

الأمر الثاني: حلّي.

أمّا النقضي:

وهذا ما نحاول مناقشته تبعاً لمتبنياتهم فيما ينسبونه لعثمان بن عفان وكيف هجم القوم على داره وألهبوه ناراً ثم عدوا عليه فقتلوه وقطعوا أصابع زوجته نائلة، وفيما يلي مجموعة من الروايات الصادرة عن علماء الجمهور:

١ – سنن الترمذي – باب مناقب عثمان بن عفان – حديث رقم ٣٧١١: «حدّثنا، سفيان بن وكيع حدّثنا أبي ويحيى بن سعيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، حدّثني أبو سهلة قال: قال عثمان يوم الدار: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد عهد إليَّ عهداً فأنا صابر عليه، قال أبو عيسى:هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلّا من حديث اسماعيل بن أبي خالد.»

وقد حكم الألباني بصحة هذه الرواية في تعليقته على سنن الترمذي[1].

٢– سنن ابن ماجة – باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله – حديث رقم ١١٣: «حدّثنا محمّدبن عبد اللهبن نمير وعليبن محمّد قالا حدّثنا وكيع،حدّثنا إسماعيلبن أبي خالد، عن قيسبن أبي حازم، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه: وددت

(١) سنن الترمذي، ج٥، ص ٢٩٦.

أن عندي بعض أصحابي، قلنا: يا رسول الله ألا ندعو لك أبا بكر ؟ فسكت، قلنا: ألا ندعو لك عمر ؟ فسكت، قلنا: ألا ندعو لك عثمان ؟ قال: نعم، فجاء فَخَلا به، فجعل النبيّ صلى الله عليه وآله يكلمه ووجه عثمان يتغير، قال قيس : فحدثني أبو سهلة مولى عثمان أنّ عثمان بن عفان قال يوم الدار: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليّ عهداً فأنا صائر إليه، وقال علي في حديثه: وأنا صابر عليه، قال قيس: فكانوا يرونه ذلك اليوم وقد حكم الألباني بصحة هذه الرواية في تعليقته على سنن ابن ماجة [1].

٣- مستدرك على الصحيحين – فضائل عثمان بن عفان – حديث رقم ٤٥٤٣: حدّثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السماك ببغداد، حدّثنا عبد الرحمن بن محمّد بن منصور الحارثي، حدّ ثنا يحيى بن سعيد القطان عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن أبي سهلة مولى عثمان عن عائشة رضي الله تعالى عنها: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أدعو لي أو ليت عندي رجلاً من أصحابي، قالت: قلت: أبو بكر ؟ قال: لا، قلت: عمر ؟ قال: لا، قلت: ابن عمك علي ؟ قال: لا، قلت: فعثمان ؟ قال: نعم، قالت: فجاء عثمان، فقال: قومي قال: فجعل النبيّ صلى الله عليه وآله يسّر إلى عثمان ولون عثمان يتغير، قال فلما كان يوم الدار قلنا: ألا تقاتل ؟ قال: لا، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليّ أمراً فأنا صابر نفسي عليه، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد حكم الذهبي بصحة هذه الرواية في تلخيصه على المستدرك [2].

١- تاريخ ابن خلدون *(العبر وديوان المبتدأ والخبر)* – باب حصار عثمان وقتله – روى أحداث الهجوم على دار عثمان ومنها: فقاموا إلى الباب ليقتحموه فمنعهم الحسن بن علي وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص ومن معهم من أبناء

(١) سنن ابن ماجة ١ / ٤٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج٣،ص١٠٠.

الصحابة وقاتلوهم وغلبوهم دون الباب، ثم صدّهم عثمان عن القتال وحلف ليدخلنّ، فدخلوا وأغلق الباب، فجاؤوا بالنار وأحرقوه ودخلوا وعثمان يصلي وقد افتتح سورة طه، وقد سار أهل الدار فما شغله شيء من أمرهم حتى فرغ جلس إلى المصحف يقرأ فقرأ (**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**. آل عمران ١٧٣)، ثم قال لمن عنده: إنّ رسول الله ﷺ قد عهد إليّ عهداً فأنا صابر عليه ومنعهم من القتال، وأذن للحسن في اللحاق بأبيه وأقسم عليه فأبى وقاتل دونه ... . ودخل عليه محمّد بن أبي بكر فحاوره طويلاً بما لا حاجة إلى ذكره ثم استحيا وخرج، ثم دخل عليه السفهاء فضربه أحدهم وأكبت عليه نائلة امرأته تتقي الضرب بيدها، فنفحها أحدهم بالسيف في أصابعها، ثم قتلوه وسال دمه على المصحف، وجاء غلمانه فقتلوا بعض أولئك القاتلين، وقتلا آخر، وانتهبوا ما في البيت وما على النساء حتى ملاءة نائلة، وقتل الغلمان منهم وقتلوا من الغلمان، ثم خرجوا إلى بيت المال فنهبوه، وأرادوا قطع رأسه *(أي عثمان)* فمنعهم النساء، فقال ابن عديس: اتركوه ... وكان قتله لثمان عشرة خلت من ذي الحجة وبقي في بيته ثلاثة أيام ...[1].

وهناك روايات كثيرة وردت في مسند أحمد ومصنّف ابن أبي شيبة ومسند أبي يعلي الموصلي وصحيح ابن حبان ومسند البزار *(البحر الزخار)* وسير أعلام النبلاء للذهبي أعرضنا عنها خوفاً من التطوال وحشد الروايات.

نتيجة الروايات

١- إنَّ عثمان كان في غاية الاستسلام فلم يشهر سيف ويدافع به عن نفسه وحليلته نائلة بنت الفرافصة.

(١) تاريخ ابن خلدون، ج٢ ق١، ص١٤٩.

٢- التزامه الكامل بوصية رسول اللهﷺ ولم تأخذه حميته وغيرته على حليلته وهو يرى كيف أنّها تتعرض للقتل وهي تحمل السيف لتذّب عنه. واشتبكت مع أحد المسلحين وحاولت انتزاع سلاحه، حتى قطعوا وفي رواية بتروا أصابعها !! بل حتى تجرأ أحد المهاجمين بأن ضربها بيده على عجيزتها !! وهذا قبل قتل عثمان وهو جالس مكانه ؟! .

٣- لم نشهد منه موقفاً مروياً يستنهض فيه همم الناس لنصرته، بل كان يرجع الكثير ممّن أرادوا الدفاع عنه وعن بيته.

٤- إنَّ فترة الحصار استمرت زهاء أربعين يوماً على الرأي المشهور، وهو من له الحكم والسلطة والسيادة في إصدار الأوامر للجيش للنصرة والدفاع عنه.

أقول:

مثل ما جرى على عثمان قد جرى على أمير المؤمنينعليه السلام فماذا تعيبون على إمامنا سكوته وكيف لا يرفع السيف وهو البطل الصمصام وهو يرى حليلته تضرب ويسقط جنينها.

فإذا هوجمت دار عليعليه السلام فقد هوجمت دار عثمان.

وإن أضرمت النيران في باب عليعليه السلام، فباب عثمان كذلك .

وإن أصيبت الصديقة الزهراءعليها السلام من جراء الهجوم، فزوج عثمان كذلك .

فما تعتذرون به لعثمان لعدم صدّه للهجوم على داره وأهله، فاعتذروا به لعلي أيضاً، فنحن نُلزم القوم بما ألزموا به أنفسهم ولا يعني هذا بالضرورة أننا نقبل به، ولكننا نرُدّ عليهم بما ورد عندهم وإن قيدّت الوصية ابن عفان فكذلك قيدت الوصية علي بن أبي طالب عليه السلام .

فعلام هذا الصياح والإنكار والتشكيك، إنّكم تكيلوا بمكيالين وتعذرون ابن عفان ولا تعذرون علياً وهذا أمر غير مقبول ولا معقول .

ثم إنّكم تعتبرون من هاجم دار عثمان قتلة ومجرمين وفجرة وفسقة وأصحاب فتنة، بينما ترضون عمّن هاجموا دار علي وفاطمة وتثنون عليهم بُكرة وعشياً ؟! أم إن عثمان خليفتكم وعلي ليس بخليفة ولا صحابي عندكم ؟!

أمّا الأمر الثاني: الحلّي: بعد أن الزمنا القوم بما الزموا به أنفسهم، نأتي لنتاول الأمر الأخر وهو (الحلّي) نقول:

النظرة المستقبلية للإسلام:

١- وهذا الأمر نجده واضحاً في رؤية الإمام عليه السلام المستقبلية للإسلام وحرصه الشديد على صيانة التجربة الإسلاميّة- التي تعرّضت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله للاهتزاز والزيغ - من المخططات الدفينة التي يكنّها أعداء الإسلام من الداخل والخارج، فهو يعلم أنَّ القوم قد حشّدوا الكثير من المرتزقة الذين امتلأت بهم الطرقات والسكك وهم يشهرون السيوف ويحملون اقباس من النار يبحثون عمّن يعترض طريقهم، فلو وقعت الحرب حينذاك لما بقيت من دين الله باقية، والمسلمون يومذاك محاصرون بالفرس من جهة والروم من جهة أخرى، وبمن ادّعى النبوّة وتكاثر أتباعه وجنده من جهة ثالثة، وبالمنافقين في داخل المجتمع من جهة رابعة، وبالذين قد دخلوا الإسلام تواً ولا زال رسول الله يؤلف قلوبهم بالأموال والغنائم حتّى لا يرتدوا على أعقابهم ويعودوا لمحاربة الإسلام من جهة خامسة، وبالذين يخالفون أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله ويماطلون في تسيير جيش أسامة ويرمون النبيّ صلى الله عليه وآله بالهجر والهذيان والعياذ بالله من جهة سادسة، وغيرهم وغيرهم[1].

(١) أنظر: علي كعثمان قيدته الوصية، عادل كاظم عبد الله، ص٩٠، ط/ الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م دار وادي السلام للتحقيق والنشر، بيروت – شارع سوريا – بناية صمدي.

التقييد بالوصية:

٢- كما نعلم أنَّ الإمام كان مقيداً بوصية النبيّ صلى الله عليه وآله وهذا الأمر يوجب عليه الالتزام الكامل بتطبيقها حرفياً، وفيه أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد أمره بالصبر والتريث وعدم الانجرار إلى مخططات القوم وتكالبهم على السلطة وسلبهم حقّه الشرعي، الذي يقضي من خلاله في مصالح المسلمين والمساواة في الرعية، وحفظ الثغور الإسلامية من كيد الأعداء، فلم تكن عنده نزعة التفكير بالملك والمصلحة الخاصّة، فكان ينفذّ ما أوصاه الرسول صلى الله عليه وآله من وصاياه ولم تهزّه كثرة الجموع من حوله محاولين استنهاضه وخوض غمار الحرب والتصدّي بالسيف، لعلمه بعدم وفائهم عند الوثبة واصطكاك الأسنة، وفعلاً جاءه الكثير يستنهضونه للقيام وأخذ حقه الشرعي، فما كان إلّا أن أجابهم بقوله: **وإيم الله لو فعلتم ذلك لما كنتم إلّا كالحرباء، ولكنكم كملح في الزادّ وككحُل بالعين**[1]، وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام: جاء المهاجرون والأنصار وغيرهم بعد ذلك إلى علي. فقالوا أنت والله، أمير المؤمنين وأنت أحق فأراد أمير المؤمنين اختيار مدى صدقهم في مدّعاهم فقال لهم: **إن كنتم صادقين فاغدوا عليّ محلقّين.** وعندما صار غد حلّق أمير المؤمنين عليه السلام رأسه وحلّق سلمان، وحلق المقداد وحلّق أبا ذر ولم يحلق غيرهم، ثم انصرفوا، فجاءوا مرة أخرى فقالوا له: أنت والله أمير المؤمنين وأنت أحقّ بالناس وأولاهم بالنبي، هلمّ يدك نبايعك وحلفوا أيضاً، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: «إن كنتم صادقين فاغدوا عليّ غداً محلّقين.. فما حلق إلا هؤلاء الثلاثة»[2]، وفي رواية أخرى، قال الإمام علي عليه السلام: **اللّهم إنّك تعلم أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد قال لي: إن تمّوا عشرين فجاهدهم وهو قولك في كتابكِ «إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ»**[3]، قال

(١) بحار الأنوار للمجلسي، ج٢٨، ص١٩١ـط.بيروت.

(٢) البحار (المجلسي، ج٢٨، ص٢٣٦).

(٣) الآية ٦٥ من سورة الأنفال.

الراوي وسمعته يقول: **اللّهم وأنهم لم يتمّوا عشرين حتى قالها ثلاثاً**[1].

بنو هاشم بقية السيف:

٣- حرصه الشديد على البقية الباقية من أهل بيته عليهم السلام وأصحابه الذين يمثلون النموذج الواعي للخط الرسالي الأصيل، فقال عليه السلام: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَئُوا إِنَائِي وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي وَقَالُوا أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ فَاصْبِرْ مَغْمُوماً أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ، فأغضَيتُ عَلى القَذى وَجَرعتُ رِيقِي عَلى الشَّجي، وصَبَرتُ مِن كَظمِ الغَيظِ على أمرٍّ مِنَ العَلقَمِ، وَألمّ للقَلبِ مِن وَخز الشفّار**[2]. وإلّا فالقضية أعمّق بكثير مما يتُصور، لأنَّ القوم كانوا عازمين على إشعال نار الحرب، وحاولوا مراراً وتكراراً أن يستدرجوا الإمام لذلك، وبيّتوا النيّة إلى هدم صرح الإسلام وبناء هيكلية جديدة باسم الإسلام بما يتناسب وأهوائهم ومصالحهم، فكانت الصورة واضحة للإمام عليه السلام فقال: **فقبضت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمّد صلى الله عليه وآله فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي هي متاع أيام قلائل**[3]. يقول الشهيد مطهري: إنّ السكوت في بعض الموارد يصبح أحوج من القيام بالسيف إلى تملك النفس والإرادة.... .

كل هذه الأحداث جعلت من الإمام ه أن يلتزم جانب الصبر وهو يرى كيف تضرب السيّدة الزهراء عليها السلام وهي تستغيث به، ولكن هيهات لأبن أبي طالب أن يؤثر

(١) تفسير العياشي، ج ٢،ص ٦٦ – ٦٨، عنه بحار الأنوار، ج٢٨، ص٢٢٧. العوالم، ج١١،ص ٤٠٥ – ٤٠٧.

(٢) نهج البلاغه، محمد عبده، ج٢، ص ٢٠٢ خطبه ٢١٧ و الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ج ١، ص ١٣٤، و مجمع الأمثال، أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (المتوفي ٥٢٨)، ج ٢، ص ٢٨٢ و شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد، ج ٦، ص ٩٥ و ج ١١، ص١٠٩.

(٣) الإمام علي في نهج البلاغة، الخطبة ٦٢.

مصلحته على مصلحة الإسلام ويخالف ما أوصاه أبن عمه وهو يوصيه بالصبر بما يجري على أهل بيته، فصبر وهو يرى الزهراء مسقطتاً على الأرض وهي تُناديّ بضعيف الصوت وقد أخذها نزف الدم، فقالت: **يابن أبي طالب افترست الذئاب وافترشت التراب** ، وفي بعض النسخ: **افترست الذئاب وافترستك الذباب ... ما كففت قائلاً ولا أغنيت باطلاً، ولا أغنيت طائلاً، ولا خيار ليتني متُّ قبل هينتي ودون ذلّتي،عذيري الله منك عادياً ومنك محامياً** لهذه الجملة احتمالات: الأوّل: الله يعتذر منك بسبب إساءتي إليك أو إيذائك بهذا النوع من الكلام.

الثاني: عذري أنك قصرت في إعانتي وحمايتي. وهناك احتمالات أخرى بعيدة جداً.

ويلاي في كل شارق ويلاي في كل غارب، مات العمد ووهن العضد، أي مات الذي كان يسند به ويعتمد عليه في الأمور وبموت العماد ضعف العضد، أي: بموت الرسول ضعف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفي نسخة: **وذلّ العضد، شكواي إلى أبي وعدواي إلى ربي، اللهم أنت أشد قوة وحولاً وأحدُّ بأْساً وتنكيلاً.**

فقال لها عليها السلام: **لا ويل عليكِ** هذا جواب من الإمام على كلامها حيث قالت: **ويلاي** فيقول الإمام لها: **لا ويل عليك** أي لا ينبغي أن تقولي **ويلاي**. **بل الويل لشانئك** لمبغضك الذي خسر الدنيا والآخرة، الويل لعدوك الذي ظلمك، وكسر قلبك وآذاك. **نهنهي عن نفسك يا ابنة الصفوة** أي: كُفّي وامنعي نفسك عن الحزن والغضب يا ابنة الذي اصطفاه الله واختاره على العالمين. **وبقية النبوة** أنت بضعة النبي، وقد أُوذي النبيّ صلى الله عليه وآله من أمته، كما قال صلى الله عليه وآله: **ما أُوذي نبي بمثل ما أُوذيت** .

أنت – يا فاطمة – بعض من ذلك الكل، وجزء من سيد الرسل. فاصبري على ما أصابكِ.

ثم أنه عليه السلام ذكر موقفه، وبيّن تكليفه الشرعي اتجاه تلك الأحداث فقال: **فما ونيتُ عن ديني** أي: ما عجزت عن القيام بما يجب، وما ضعف ديني واعتقادي، أي لم أصنع شيئاً

استحق عليه اللوم والعتاب، لأنني مأمور بالصبر والسكوت، لأنَّ رسول الله ﷺ قد أمرني بالصبر إن لم أجد أعواناً، وليس غصب فدك والعوالي بأعظم من غصب الخلافة والاستيلاء على منصة الحكم، والجلوس على مسند السلطة، **ولا أخطأْت مقدوري** أي: ما تركت ما دخل تحت قدرتي وإمكانيتي، كأنّه عليه السلام يعتذر عن سبب تقاعده عن نصرتها.والمقدور – هنا – ليس المقدور العقلي بل المقدور الشرعي، وأمير المؤمنين عليه السلام كان يستطيع أن ينهض ويحمل سيفه ويهاجم المغتصبين، ويقتل منهم أفراداً لا يتجاوزون العشرة ويستولي على فدك والعوالي، وعلى الحكم، ما قتل عليّ عليه السلام يوم بدر حوالي خمسة وثلاثين رجلاً من الشجعان؟ مع العلم أنَّ رجال السلطة يومذاك لم يكونوا بأشجع من الذين حضروا يوم بدر لمحاربة رسول الله، هذه القدرة العقلية المتوفرة للإمام عليه السلام.

وأما القدرة الشرعية: فإنّ علياً إذا نهض لأجل القضاء على تلك الأفراد فمعنى ذلك وقوع الفتن والمصائب والاضطرابات الداخلية واتساع نطاق الفتنة وخاصة وأنّ هناك أفراداً يتربصون بالإسلام وينتهزون الفرصة للإطاحة بذلك الدين الذي كان غضاً جديداً لم تستقر أركانه بعد، ولم يضرب بجرانه الأرض، أضف إلى ذلك وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام بالصبر والسكوت.

إذن: فالأفضل التضحية بفدك والعوالي، والسكوت عن المغتصبين رعاية للإسلام وحفظاً للدين من الضياع والانهيار. **فإنّ كنتِ تريدين البلغة، فرزقك مضمون** والضامن هو الله الذي تكفّل رزق كل ذي روح، **وكفيلك مأمون** وهو الله تعالى لا يخلف وعده فيما تكفّله وضمنه، **وما أُعدَّ لكِ** من الأجر، وتهيأ لك من الثواب في الآخرة والعظمة يوم القيامة والدرجات العالية التي أحرزتيها في مقابل هذه المصائب والاضطهاد والمظلومية، **أفضل ممّا قطع عنكِ** من الأراضي، وأفضل مما منعوكِ من حقوقكِ، **فاحتسبي الله** اصبري طلباً لرضاه.

فقالت: **حسبي الله. وأمسكتْ** امتثلت أمر إمامها، وأطاعت زوجها، وقالت: حسبي الله. أي: الله كافئي وعليه أعتمد في أموري. وسكتت ورضيت عليها السلام [1].

وفي رواية ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه[2] قوله عليه السلام عندما حرّضته فاطمة الزهراء عليها السلام يوماً للنهوض والوثوب فسمع صوت المؤذن: أشهد أنَّ محمّداً رسول الله فقال لها: أيسرك زوال هذا النداء من الأرض؟! قالت: لا، قال: فإنّه ما أقول لك يقول الشهيد مطهري: نعم فما هي هذه القدرة التي لا تحرّكه معها العواصف، ولا تزعزعه القواصف؟ فيكن بها ويسكن مع إثارتها له بهذه الكلمات، وهي العزيزة لديه، منتهى العزة والكرامة؟ بل ويسكنها ويهدئها حتى يسمعها تقول: حسبي الله ونعم الوكيل.

و في حديث ان فاطمة عليها السلام صديقة شهيدة دلالة واضحة بلوغ السيدة الزهراء مقام الصديقين الذى يحكى عن صدقها مع نفسها و مع ربها و مع الناس من حولها

هذا هو سكوته العظيم! أمّا قيامه الأهم والأعظم والذي انفرد به هوباهى وقال: «... **ولم يكن ليجترأ عليها أحد غيري** ...» فهو قيامه بالأمر والسيف أمام كل من خرج عليه من عائشة أم المؤمنين، وطلحة والزبير العظيمين، ومعاوية الأهم والأعظم، والخوارج المرقة «... **فأنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجترأ عليها أحد غيري، بعد أن ماج غيهبا واشتد كلبها**»[3].

- **الشبهة الثانية:**

يقولون أين الأنصار وأين بنو هاشم ونخوتهم وأنفتهم وشجاعتهم وكونهم

(١) مروج الذهب، ج٢، ص٣٠٤.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج١١، ص١٣.
(٣) نهج البلاغة، خطب الإمام علي، ج١، ص١٨٢.

سادة لقريش يجعل العقل يرفض مثل هذه القصة؛ إذ في إثباتها طعن فيهم عامّة وفي سيدنا علي رضي الله عنه خاصّة.

❖ جواب الشبهة:

كما عهدنا موقف بنو هاشم من إمامهم وعميد قومهم أمير المؤمنين عليه السلام وكيف أنّهم كانوا إلى جنبه عند تغسيل وتكفين النبيّ صلى الله عليه وآله وتجهيزه في حين كان الصراع محتدماً على أشدّه في السقيفة حول الخلافة ومن يتسنّمها حتى عهدنا الصراع بين المهاجرين والأنصار.

إلى أن جاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم، وقال: يا معشر بني هاشم بويع أبو بكر! فقال بعضهم لبعض: ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه ونحن أولى بمحمّد! فقال العباس: فعلوها وربّ الكعبة ! وكان عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكون أنَّ علياً عليه السلام هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حينها غضب بنو هاشم وعدد كبير من الأنصار واحتشدوا في بيت أمير المؤمنين عليه السلام رافضين كل المؤامرات التي جرت خلسةً تحت مظلّة السقيفة، وهذا الموقف الحازم ينم عن عقيدة راسخة بأنَّ الخلافة لا تكون إلّا للإمام علي عليه السلام ، وأنَّ أبا بكر أخذها منه عنوة .

وعندما علمت الزهراء عليها السلام ، بما حدث في اجتماع سقيفة بني ساعدة، وأبوها سيد المرسلين لم يدفن بعد، بكت حزناً لهول المصيبة، حتى أنّه لما جاءها بعض الصحابة، وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة، معزّين، قالت: « تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم ولم تستامرونا وصنعتم بنا ما صنعتم ولم تروا لنا حقاً.»[1]

(١) أمالي المفيد،ص٥٠.

ثم أعربت السيدة الزهراءعليها السلام عن سخطها وغضبها لسلب الخلافة فقالت: ويحهم أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبّوة؟ ألا ذلك هو الخسران المبين ما الذي نقموا من أبي الحسن؟ استبدلوا والله الذنابى بالقوادم والعجز بالكاهل؟ ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يعلمون[1].

هذه الأحداث تترجم لنا موقف بنو هاشم والأنصار من السقيفة، وكان احتشادهم في بيت النبوة إعلاناً صارخاً بالولاء والإقرار بإمامة أمير المؤمنينعليه السلام وبالتالي فإنّهم تحملوا نتائج هذا الموقف من رجالات الدولة .

يقول: أبو عمر: «تخلف عن بيعته طائفة من الخزرج وفرقة من قريش.» [2]

قال محمّد بن إسحاق: «وكان عامّة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكون أنَّ علياً هو صاحب الأمر بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله.» [3]

وقال الزبير بن بكار – بسنده إلى إبراهيم بن سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري قال: لما بويع أبو بكر واستقر أمره ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته ولام بعضهم بعضاً وذكروا علي بن أبي طالب وهتفوا باسمه [4] ، وقال الطبري: فقالت الأنصار أو بعض الأنصار لا نبايع إلّا علياً [5].

وقال عبد الرزاق في المصنّف: قال عمر: تخلفت عنّا الأنصار بأسرها في السقيفة[6].

ومن جملة الذين إنحازوا إلى جهة عليعليه السلام :

١- فروة بن عمرو. قال الزبير بن بكار في الموفقيات: كان فروة بن عمر ممّن تخلّف

(١) أنظر:ابن أبي طيفور: بلاغات النساء، ج١٩، ص٢٠، أعلام النساء لعمر كحالة، ج٣، ص١٢١٩، شرح النهج للمعتزلي، ج٤، ص٨٧.

(٢) الرياض النضرة، ج١، ص٢٣١ ذكر بيعته.

(٣) الأخبار الموفقيات، ص٥٨٠، ح ٣٨٠.

(٤) الأخبار الموفقيات، ص٥٨٣، ح ٣٨٢.

(٥) تاريخ الطبري، ج٢، ص٤٤٣ الأخبار الواردة بيوم وفاة النبي.

(٦) المصنف، ج٥، ص٤٤٢ ح ٩٧٥٨.

عن بيعة أبي بكر، وكان ممّن جاهد مع رسول اللهﷺ وقاد فرسين في سبيل الله، وكان يتصدّق من نخله بألف وسق في كل عام، وكان سيداً، وهو من أصحاب عليعليه السلام وممّن شهد معه يوم الجمل. وذكر الزبير بن بكار بعد ذلك عتاب فروة لبعض الأنصار الذين ساعدوا أبا بكر في بيعته.[1]

٢- خالد بن سعيد الأموي كان عاملاً لرسول الله على صنعاء اليمن فلما مات رسول الله رجع هو وأخواه أبان وعمر عن عمالتهم، فقال أبو بكر: مالكم رجعتم عن عمالتكم؟ ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول اللهﷺ، ارجعوا إلى أعمالكم . فقالوا: نحن بنو أحيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله[2]. وتأخر خالد وأخوه أبان عن بيعة أبي بكر، فقال لبني هاشم: إنّكم لطوال الشجر طيبوا الثمر نحن تبع لكم[3]. وتربّص ببيعته شهرين يقول: قد أمرني رسول الله ﷺ ثم لم يعزلني حتّى قبضه الله، ولقي علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان، فقال يا بني عبد مناف لقد طبتم نفساً عن أمركم يليه غيركم، فأمّا أبو بكر فلم يحفل بها عليه، وأمّا عمر فأضغنها عليه[4].

وأتى علياً عليه السلام، فقال: هلم أبايعك فوالله ما في الناس أحد أولى بمقام محمّد منك[5].

فلما بايع بنو هاشم أبا بكر بايعه خالد[6].

ثم بعث أبوبكر الجنود إلى الشام وكان أوّل من استعمل على ربع منها خالد بن سعيد، فأخذ عمر يقول: أتؤمره وقد صنع ما صنع وقال ما قال، فلم يزل بأبي بكر

(١) الموفقيات، الزبير بن بكار، ص ٥٩٠. وفروة بن عمرو الأنصاري البياضي شهد العقبة وبدر وما بعدهما مع رسول اللهﷺ، أسد الغابة، ج ٤، ص١٧٨.

(٢) الاستيعاب، ج ١، ص٣٩٨ - ٤٠٠ والإصابة، ج ١، ص ٤٠٦، وأسد الغابة، ج ٢، ص ٨٢، وراجع ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ١٣ و ١٦.

(٣) أسد الغابة، ج ٢، ص ٨٢ وابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١٣٥. ط المصرية الأولى.

(٤) الطبري طبعه. أوروبا، ج١، ص٢٠٧٩، ج ٢، ص ٥٨٦ وتهذيب تاريخ ابن عساكر، ج ٥، ص ٤٤٨. وفي أنساب الأشراف، ج١، ص٥٨٨ ذكر أنّ خالد بن سعيد تأخر عن البيعة.

(٥) اليعقوبي، ج ٢، ص ١٠٥.

(٦) أسد الغابة، ج ٢، ص ٨٢، وراجع تفصيل ذلك في ابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٣٥ نقلا عن سقيفة أبي بكر الجوهري.

حتى عزله، وأمر يزيد بن أبي سفيان[1].

٣- سعد بن عبادة الأنصاري *(زعيم الخزرج)*:

يروى أنَّ سعداً ترك أيّاماً ثم بعث إليه أن أقبل فبايع، فقد بايع الناس وبايع قومك، فقال: أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبل وأخضب سنان رمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي فلا أفعل، وأيم الله لو أنَّ الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي واعلم ما حسابي.

فلما أُتي أبو بكر بذلك، قال عمر: لا تدعه حتى يبايع . فقال له بشير بن سعد: إنه قد لج وأبى، وليس بمبايعكم حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته، فاتركوه فليس تركه بضاركم إنّما هو رجل واحد. فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد، واستنصحوه لما بدا لهم منه، فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يجتمع معهم ولا يحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم . . الخ فلم يزل كذلك حتى توفي أبو بكر وولي عمر[2].

قال المسعودي: وخرج سعد بن عبادة ولم يبايع فصار إلى الشام فقتل هناك سنة ١٥هـ[3]

وفي رواية ابن عبد ربه:رمي سعد بن عبادة بسهم فوجد دفيناً في جسده فمات، فبكته الجن فقالت:

وقتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ورميناه بسهمين فلم يخط فؤاده[4]

كذلك موقف بريدة من السقيفة وبيعة أبي بكر ! فقد ذكرت الروايات أنّه كان مسافراً

(١) الطبري، ج ٢، ص ٥٨٦ وفي ط أوروبا، ج١، ص٢٠٧٩، تهذيب تاريخ ابن عساكر، ج ٥، ج ٤٨، وفي أنساب الأشراف، ج١، ص٥٨٨ ذكر أن خالد بن سعيد تأخر عن البيعة.

(٢) الرياض النضرة، ج ١، ص ١٦٨ مضافا إلى المصادر.

(٣) مروج الذهب، ج ١، ص ٤١٤ و ج ٢، ص ١٩٤.

(٤) العقد الفريد، ج ٤، ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

إلى الشام، ورجع إلى المدينة بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله بقليل، وتفاجأ ببيعة أبي بكر، فأعلن عدم شرعية السقيفة، وذهب إلى قبيلته القريبة من مكة ونصب الراية في وسطهم، وأعلن الاعتصام والنفير، حتى يأمرهم علي بأمره ! فاستجابت له قبيلته، وكانت أوّل تهديد مسلح ضد أهل السقيفة ! ولذلك صرح عمر أنّه بقي متخوفاً من عدم نجاح بيعة السقيفة *(حتى بايعت أسلم فأيقنت بالنصر !)* وقد استمرت مشكلة بريدة وقبيلته حتى أرسل إليهم علي عليه السلام أنَّ الوقت فات، وأنَّ أكثر قريش والأنصار قد بايعوا أبا بكر. والاختلاف والحرب بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله باشرة، ليس في مصلحة الإسلام[1].

- **الشبهة الثالثة:**

قولهم إنها شهيدة يعني شاهدة على الناس لا مقتولة

توضيح محل الخلاف

حري بنا ونحن نقف أمام قضية تاريخية وخلافية تدعونا إلى التمسك بجميع المعايير العلمية والأخلاقية التي توقفنا على الحقيقة من أقرب طرقها، كما أنَّ هذه الدراسات والأبحاث كانت ولا تزال مفتقرة إلى مزيد من التجدّد والتعمّق في دقائقها الجزئية وركائزها الحقيقية التي بُنيت عليها، لعلّة غائية توجب عليها التجدّد في كل عصر وزمان؛ نظراً لأهميتها البارزة في حياتنا الراهنة ودورها الكبير في تحديد الانتماء العقائدي.

ومحور البحث يتناول مسألة شهادة الصدّيقة فاطمة عليها السلام وهل أنّها ماتت شهيدة أم أنَّ معنى شهيدة هي بمعنى شاهدة على الأمّة يوم القيامة؟! كل هذه التساؤلات نحاول أن نجيب عليها بطريقة علمية استقرائية تبعاً للنصوص القرآنية والأدلة الصادرة من طريق الفريقين.

(١) سنن الترمذي، ج٥،ص٣٦٠.

❖ **جواب الشبهة**

ورد في الحديث عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام : **إن فاطمة صدّيقة شهيدة** [1].

قال الشيخ المجلسي في مرآة العقول[2]: الصِّدّيقة فِعِّيلة، للمبالغة في الصدق والتصديق، أي كانت كثيرةَ التصديق لِما جاء به أبوها صلى الله عليه وآله، وكانت صادقةً في جميع أقوالها، مُصدِّقةً أقوالَها بأفعالها، ولا ريبَ في عصمتها عليها السلام لدخولها في الذين نزلت فيهم آية التطهير بإجماع الخاصّة والعامّة، والروايات المتواترة مِن الجانبين.

هذا الحديث فيه دلالة واضحة لبلوغ السيدة الزهراء عليها السلام مقام الصدّيقين الذي يحكي عن صدقها مع نفسها ومع ربّها ومع الناس من حولها، وقد عرفت أنّها كانت الأصدق بعد أبيها كما روت عائشة .

كما أنَّها نالت منزلة القرب الإلهي بحيث وصلت إلى مقام الشهداء الذين يشهدون على الأُمّة يوم القيامة، ونستوحي منه أيضاً أنَّها وصلت إلى مقام الشهداء الذين يشهدون على الأمّة يوم القيامة، كما هو شأن الأنبياء الذين اصطفاهم الله سبحانه واختارهم لمقام الشهادة .

إنّ ضم كلمة *(الشهيدة)* إلى كلمة *(الصدّيقة)* هو الذي يوحي لنا بهذا التفسير لكلمة الشهيدة، لأنَّه يلتقي مع الإشارة القرآنية، لذلك في قوله تعالى: «**وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا**. النساء/ ٦٩»، وقوله تعالى: «**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَـؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**. النحل/ ٨٩»، وغيرها من الآيات القرآنية التي تتحدّث عن مقام الشهادة على الأمّة. ولا ريب أنَّ موقع الشهادة على الأمّة هو أعظم من موقع الشهادة بمعنى

(١) الكافي، ج ١، ص ٤٥٨، ح ٢.

(٢) مرآة العقول، المجلسي، ج٥،ص٣١٥.

القتل في سبيل الله، لأنَّ الشهادة بالمعنى الأوّل هي صفة الله سبحانه: «**أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**. فصلت/ ٥٣»، وهو أيضاً صفة أنبياء الله «**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيدًا**. النساء/ ٤١». وعندما يختار الله أحداً للاصطفاء ولمقام الشهادة، كما اختار سيدتنا الزهراءعليها السلام لذلك، فإنَّ هذا الاصطفاء لا ينطلق من فراغ، بل هو ينطلق من الخصائص التي تحبب هؤلاء إلى الله، وتجعلهم في مستوى حمل الرسالة، وتجسيد قيمها في الحياة[1].يقول الشيخ مكارم: الشهيد في أصل اللغة هو من يشهد، غاية ما هناك أن الإنسان قد يشهد على حق بكلامه، وقد يشهد بعمله وقتله في سبيل أهدافه الطاهرة[2] .

ومن الطبيعي أنّ *(الشهيد)* في الفكر الإسلامي لا ينحصر بالشخص الذي يقتل في ميدان الجهاد، بالرغم من أنّه أوضح مصداق لمفهوم الشهيد، بل ينطبق على كل الأشخاص الذين يؤمنون بالعقيدة الإلهيّة ويسيرون في طريق الحق حتى رحيلهم من الدنيا، وذلك تماشياً مع الروايات الإسلامية فإنّها تعد هؤلاء في زمرة الشهداء .

مع هذه الخصوصية لمعنى الشهادة والتي أعطيت للسيدة الزهراءعليها السلام وأنّها شاهدة على الأُمّة، إلا أنّه في المقام نرى أنَّ مفهوم حديث الإمام الكاظمعليه السلام: **إن فاطمة صدّيقة شهيدة** ناظر إلى معنى الشهادة التي هي من مصاديق القتل بمفهومها الواسع.

١ – قال ابن الأثير: إنَّ كلمة *(شهيد)* و *(شهيدة)* في الأصل: من قتل مجاهداً في سبيل الله، ويجمع على شهداء، ثم اتسع فيه فاطلق على من سمّاه النبيّصلى الله عليه وآله من المبطون، والغرق، والحرق[3]. وقال الزبيدي: الشهيد في الشرع القتيل في سبيل الله[4].

(١) الزهراء القدوة، ص ١٨٣ / ١٨٤ وبيان الحق، ص ٣٥.

(٢) مكارم الشيرازى، تفسير الأمثل، ج٣،ص٢٣٢.

(٣) تاج العروس، ج ٢، ص ٣٩١، والنهايةُ لابن الأثير، ج ٢، ص ٥١٣.

(٤) تاج العروس، ج ٢، ص ٣٩١.

فهرس المصادر والمنابع

١. القرآن الكريم.

٢. *أهل البيت تنّوع أدوار ووحة هدف*،السيد محمّد باقر الصدر، دار التعارف للمطبوعات.

٣. *أمالي*،أبي عبد الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي، طبعة إيران مؤسسة النشر الإسلامي.

٤. *إحقاق الحق وإزهاق الباطل*، نور الله التستري،طبعة قم،١٤٠١هـ.

٥. *الكافي*،الكليني،طبعة،دار الكتب الإسلامية،طهران،الطبعة الثانية،١٣٩٨هـ.

٦. *الاحتجاج*،الطبرسي،تعليق: محمد باقر الخرسان،طبعة دار النعمان.

٧. *الاختصاص*،المفيد،تحقيق: علي أكبر الغفاري،طبعة دار المفيد،بيروت.

٨. *أنساب الأشراف*،البلاذري،تحقيق: كمال الحارثي،طبعة مكتبة الخانجي. مصر. ١١٢٥هـ.

٩. *أسد الغابة في معرفة الصحابة*،ابن الأثير،تحقيق: محمد إبراهيم،طبعة القاهرة،١٣٩٠هـ.

١٠. *الاصابة*،ابن حجر،تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود،دار الكتب العلمية بيروت.

١١. *الصحيح من سيرة النبي الاعظم*،جعفر مرتضى العاملي،طبعة، دار السيرة،بيروت.

١٢. *الصواعق المحرقة*،ابن حجر الهيثمي.

١٣. *سيرة ابن هشام*، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. مكتبة محمد علي صبيح وأولاده . مصر ١٣٨٣ق.

١٤. *الإستيعاب*، ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي الطبعة: الأولى،دار الجيل١٤١٢.

١٥. *الإمامة والسياسة ابن قتيبة*، تحقيق: طه محمد الزيني مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.

١٦. *الكنى والالقاب*، الشيخ عباس القمي،مكتبة الصدر، طهران.

١٧. *صحيح ابن حبان*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط الطبعة: الثانية،مؤسسة الرسالة١٤١٤، ١٩٩٣م.

١٨. *أضواء البيان*، الشنقيطي،مكتب البحوث والدراسات،. طبعة/ دار الفكر . ١٤١٥، ١٩٦٥م.

١٩. *نظم درر السمطين*: الزرندي الحنفي الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٣٧٧، ١٩٥٨ م.

٢٠. *ديوان حافظ إبراهيم*، ط دار الكتب المصرية بالقاهرة عام ١٩٣٧ م .

٢١. *العين*، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي الطبعة: الثانية، الناشر: مؤسسة دار الهجرة، سنة الطبع: ١٤٠٩.

٢٢. *شرح نهج البلاغة*، ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى. الناشر: دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي وشركاه. ١٣٧٨،١٩٥٩ م.
٢٣. *انساب الأشراف*، أحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي،الطبع: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت . ١٣٩٤، ١٩٧٤ م .
٢٤. *لسان العرب*، ابن منظور،، الناشر: نشر أدب الحوزة . قم، .١٤٠٥
٢٥. *الفيروز آبادي*، القاموس المحيط.
٢٦. *الصحاح*، الجوهري، أحمد شمس‌الدين الطبعة: الأولى،دار الكتب العلمية. بيروت ١٤١٥ . ١٩٩٤م.
٢٧. *بحار الأنوار*، المجلسي،التحقيق: محمد الباقر البهبودي، مؤسسة الوفاء . بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ . ١٩٨٣ م .
٢٨. *بلاغات النساء*: ابن أبي طيفور،مكتبة بصيرتي، قم المقدسة.
٢٩. *بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية*، ابن طاووس، تحقيق: علي الغريفي، قم.
٣٠. *الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة*، الشيخ المفيد، طبع الحيدرية.
٣١. *تاج العروس*: الزبيدي: تحقيق: علي شيري دار الفكر - بيروت دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت١٤١٤، ١٩٩٤م.
٣٢. *تاريخ مدينة دمشق ابن عساكر الدمشقي*. تحقيق: سكينة الشهابي،طبعة:دمشق ١٤٠٢هـ.
٣٣. *تاريخ اليعقوبي*، دار صادر – بيروت. ١٤٠٥هـ.
٣٤. *تاريخ الطبري*، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
٣٥. *تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير والأعلام*، الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام،دبعة دار الرائد العربي. القاهرة ١٤٠٥هـ.
٣٦. *تاريخ الخلفاء*، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي،دار الجبل، بيروت. ١٤٠٨هـ.
٣٧. *تاريخ ابن خلدون الطبعة*: الرابعة دار إحياء التراث العربي . بيروت.
٣٨. *تفسير العياشي محمدبن مسعود العياشي تحقيق*: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي: المكتبة العلمية الإسلامية . طهران
٣٩. *تبصرة العوام*: ط المجلس بطهران
٤٠. *مأساة الزهراء*، السيد جعفر مرتضى العاملي،نشر دار السيرة بيروت.

٤١. *مروج الذهب:* طبعة دار الأندلس، بيروت.
٤٢. *ميزان الاعتدال الذهبي* تحقيق: علي محمد البجاوي الطبعة: الأولى: دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت ١٣٨٢، ١٩٦٣ م.
٤٣. *منهاج السنة*، ابن تيمية طبعة دار الكتب العلمية .
٤٤. *مجمع الزوائد:* الهيثمي دار الكتب العلمية . بيروت: ١٤٠٨ . ١٩٨٨ م.
٤٥. *الموفقيات*، الزبير بن بكار/ ط . بغداد .
٤٦. *سير اعلام النبلاء:* الذهبي تحقيق: شعيب الأرنؤوط الطبعة: التاسعةمؤسسة الرسالة . بيروت . ١٤١٣، ١٩٩٣ م.
٤٧. *سنن الترمذي* التحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر .
٤٨. *سنن ابن ماجه:* التحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر .
٤٩. *كتاب سليم بن قيس الهلالي*، الناشر: انتشارات هادى ـ قم، الطبعة الأولي، ١٤٠٥ هـ.
٥٠. *كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال*، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي تصحيح: الشيخ بكري حياني * الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة.
٥١ . *لسان الميزان*، ابن حجر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٠ق.
٥٢. *صحيح البخاري*، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨١ م.
٥٤. *شرح نهج البلاغة:* محمد عبدة الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.
٥٣. *نظم السمطين*، الزرندي الحنفي الطبعة: ١٣٧٧ . ١٩٥٨ م.
٥٤. *علي كعثمان قيدته الوصية*، عادل كاظم عبد الله، دار وادي السلام للتحقيق والنشر، بناية صمدي الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ . ٢٠٠٧ م.